المديح الدينيّ في شعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ
دراسة موضوعيَّة

The Religious Praise in Saffei Al-Deen Al-Hilli's Poetry An Objective Study

الأستاذ المشارك الدكتور محمود آبدانان مهدي زاده

جامعة الشهيد تشمران الأهوازيَّة / قسم اللغة العربيَّة وآدابها

إياد نيسي

طالب ماجستير/فرع اللغة العربيَّة وآدابها / جامعة الشهيد تشمران الأهوازيَّة

Associate Prof. Dr. Mahmood Mahdi Zadeh

University of Shaheed Teshmaran\Department of Arabic Language and Literature

Eyad Neesi

MA student, University of Shaheed Teshmaran, Department of Arabic Language and Literature

ملخَّص البحث

تطوَّر المديح الدينيّ تطوُّرًا ملحوظًا مع انطلاق الدعوة الإسلاميَّة، وشغَلَ حيِّزًا كبيرًا في الأدب العربيّ وتاريخ الدرسات الأدبيَّة بعد الفتوحات الإسلاميَّة، فَهو مِن الأَغراض القديمة الَّذي اهتمَّ به شعراء العرب وعبَّروا مِن خلاله عن حبِّهم لِلنبيّ الأكرمﷺ وأَهل بيته الأَطهارعليهم السلام، وذلك مِن أَجل خدمة الإسلام وتوعية المسلمين.

يُعدُّ مدح أَهل البيتعليهم السلام لونًا مِن الشعر الدينيّ الذي يدور حول شخصيَّتهم الكريمة. وسَنُحاول في موضوع بحثنا هذا أَن نسلِّط الأَضواء على أَبرز الملامح والظواهر المختلفة لِلمديح الدينيّ في شعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ الذي هو أَحد أَعلام شعراء مدينة الحِلَّة في العصر المملوكيّ، لذا قسَّمنا جوانب المديح في شعره، ثُمَّ أَشرنا إلى الميزات البارزة والأَساسيّة لِصورة المديح الدينيّ في شعره، وبعد ذلك استخرجنا جماليَّاتها الفنيَّة والتعبيرية، ونعالج هذه الدراسة بمنهجٍ يتَّصف بِطابعٍ وصفيٍّ تحليليّ. ومِن أَهم ما توصَّلت إِليه الدراسة أَنْ صَوَّرَ الشاعر لنا بصورةٍ واضحةٍ جليَّة شخصيَّة أَهل البيتعليهم السلام، مُشيرًا إلى فضائلهم وشمائلهم المثلى وسيرتهم الحميدة، وأَشادَ أيضًا بمكانة الرسول الأَكرمﷺ وأَهل البيتعليهم السلام المرموقة والسامية بين الأَنبياء وسائر الخَلق، راجيًا شفاعتهم في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون؛ وذلك بالثناء عليهم.

الكلمات الدّليليَّة: الشعر المملوكيّ، المدح، الأَدب الملتزم، مدح أَهل البيتعليهم السلام.

Abstract

It has been noticed that religious praise was notably developed with the advent of Islam and occupied a large room in the Arabic literature and its history. Religious praise was employed by poets to show their love, admiration and respect to Prophet Mohammed and his Household (PBUH & H) as a way of serving Islam and educating Muslims.

This study tries to shed some light on that aspect in Saffei Al-Deen Al-Hilli's poetry who was one of the pillars of Hillah Poets in the Mamluk Period. Thus, the study signals the basic and outstanding features of praise in Saffei Al-Deen's poetry, high-lightening its aesthetic and expressive nature. The study finds that Saffei Al-Deen has skillfully portrayed the reality of Prophet Mohammed's household's virtues, characteristics, and biography.

المقدّمة

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين، والصَّلَاةُ والسَّـلامُ على خاتَم الأَنبياء والمرسَـلِين، وصَفوَةِ خَلق الله أَجمَعِين، سَيِّدنا مُحَمَّد بن عبدالله عليه وعلى آلِه أَفضلَ الصَّلاةِ وأَزكى التَّسلِيم، ومَن تبعهم بإحسَانٍ إِلى يوم الدِّين.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيما﴾[1].

أمَّـا بَعد، فإنَّنـا إذ نقدِّم هذا العمل المتواضـع لا ندَّعي أَنَّنَا أَتينـا بِجديد، ولا نُبَرِّئ أَنفسنا مِن الخطأ والتقصير والزَّلَل، فإنْ كان مِن سهوٍ في عِبارةٍ، أَو غُمُوضٍ في فكرةٍ، أَو خللٍ في إستنتاجٍ، فَعُذرنا أَنَّ الكمال لله وحدَه، وحسبنا صِدق التَّوجُّه، واستفراغ الجُهد، واللهُ أَعظمُ رقيبٍ، وأَكرمُ حسيبٍ.

إِنَّ نشأَة الفنون الأَدبية ونموّها وتألُّقها رهنٌ بالبيئة التي غُرِست فيها، فَكلَّما كانت البيئة أَكثر استعدادًا وقوَّة، يكون ذلك الفن أَكثر متانةً أيضًا، وتكون أَغصانهُ أَكثر ظلالًا وأوسع.

ويُعـدُّ فن المدائح الدينيَّة مِن أَهمِّ أَلوان الشـعر في العـصر المملوكيّ، وهي بابٌ من أَبواب الأَدب الملتزم الذي عَبَّرَ به معظم الشـعراء المماليك عن عواطفهم الدينيَّة الصادقة تجاه أَهل بيت النبوَّة؛ وذلك لأَنَّ روافد هذا الأَدب الرفيع تتدفَّق ينابيعها مِن قلوبهم المفعَمَة بالحبِّ والعقيدة الإِسلاميَّة النزيهة والمخلصة، والمعرفة الإيمانيَّة الكامنة فى أعماقهم.

بيان المسألة

كما نعلم بِأَنَّ المديح الدينيّ قد اتَّسَعَ اتِّساعًا ملحوظًا على نطاق واسع في البلدان الإسلاميَّة والعربيَّة في عهد المماليك، ومِن هذا المنطلق فإنَّ هذا اللون مِن الشعر الدينيّ الَّذي يُمَثل الحقبة الممتدَّة بين القرنين السابع والثامن الهجريَّين قد رسخَت مَعالمه واتَّضحت بصورة كبيرة بين الشعوب الإسلاميَّة؛ لذا ظَهَرَ عددٌ مِن الأُدباء الَّذين اشتهروا بهذا اللون مِن الشعر وأَجادوا فيه.

ومِمَّا يَنبَغِي التَّنبِية عليه أنَّ دراسَتَنا هذه ستكون مقصورَةً على دراسة الأَشعار التي نُظِمَت على يد الشاعر (صفيِّ الدين الحِلِّيّ)[٢] في مَجال مدح النَّبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأَهل بيت النبوَّة عليهم السلام؛ وذلك لِنُسَلِّطَ الأَضواء على هذا اللون مِن الشعر الذي شَغَلَ حيِّزًا كبيرًا مِن دواوين أَعلام الشعراء في عهد المماليك، ومِن هذا المنطلق يطمحُ هذا البحثُ إلى الوقوفِ عند مجهودات صفيِّ الدين الحِلِّيّ في مدوَّناته البديعيَّةِ وشعره الدينيّ الذي نُظِم في مضمار أَهل البيت عليهم السلام. وممَّا يجدر ذِكرُه أَنَّ هذه الدراسة نصيَّة، انطلقت من النصوص الشعريَّة، وبُنيَت عليها.

أَسئلة وفرضيَّات

١. ما العوامل التي ساهمت في شيوع الشعر الدينيّ في هذا العصر؟

٢. ما مكانة مدح أَهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عام، والمدائح النبويَّة بِشكلٍ خاص في شعر هذا العصر؟

٣. ما أَبرز جوانب المديح الدينيّ في شعر الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ؟

أَهميَّة البحث

١. يُعَدُّ هذا البحث وسيلة مِن الوسائل الـمُعينة لِلمتطلِّعين والباحثين عن معرفة أَسرار أَهل البيت عليهم السلام.

٢. الوقـوف والنظر في الأَشـعار التي نُظِمَـت في مَدح النَّبـيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأَهل بيـت النبـوة عليهم السلام في العـصر المملوكـيّ، يفتح لنا بـاب الولوج إِلـى الأَدب الملتزم.

٣. الاهتمام بما يخصُّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في جميع المجالات، ولاسيما ما يهمُّ الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم من قيم الإِسـلام ومن شعائر الله سبحانه وتعالى، وكذلك تيسير سُبُل البحث لطلَّاب الأَدب النبويّ.

أَسباب اختيار الموضوع

١. عـلى الرغم مِـن تعدُّد الأبحـاث والدراسـات التـي تناولت المدائـح النبويَّة والشـعر الدينيّ في عهد المماليك، إِلَّا أَنَّهُ لم تتم دراسـة سـابقة موسَّعة وشاملة – من بحوث ورسـائل جامِعِيَّـة– التي توقَّفت عند دراسـة المديح الدينيّ في شعر صفيّ الدين الحِلِّيّ.

٢. الرغبة والشغف في دراسة الشعر الدينيّ، لما يلحقه من لذَّة الاكتشاف، ومتعة الفن.

٣. خدمـة أَهـل البيت عليهم السلام، وبيـان جانب مِـن جوانب مكارمهـم وفضائلهم وشيمهم الطيِّبة.

خلفية البحث

لا بُـدَّ مِن الإِشـارة إِلـى أَنَّ الشـعر المملوكيّ لم يـزل مَعينًا لِلدارسـين لا ينضب، يتَّخـذون مِـن مادَّته أُصولًا لِدراسـتِهم، ومازالـت ثَمَّة جوانب مهمَّة في هذا الشـعر لم يُكشف النقاب عَنها بعد، وتحتاج مَن يُعنى بها، ومِنها موضوع هذا البحث، لذا بِصِفَتي باحثًـا في الأَدب العربيّ أَطمَحُ مِن دراسـتي لهذا البحث بأَنَّ أُضيف شـيئًا مفيدًا إلى ما كُتِبَ عن أَهل البيت عليهم السلام في عهد المماليك؛ وذلك لِأَنَّ الدراسات الَّتي عرضت لِلشعر الدينـيّ في هذا العصر، لم توفِ موضوع هذا البحث حَقّـهُ مِن الدرس، وكانت وقفاتها عنده قصيرة وعابرة، ومنها على سـبيل المثال: مقال تحت عنوان (مقارنة المدائح النبويَّة في شـعر عطَّار وصفيّ الدين الحِلِّيّ) المنشـور في مجلَّة الآداب والعلوم الإِنسانيَّة بجامعة طهران، للدكتور أَبو الحسن أمين مقدسيّ.

أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث

لم يتطـرَّق أحدٌ من الباحثـينَ مِن قبلُ إلى دراسـة هذا الموضوع، ممَّـا صَعَّبَ مَهَمَّةَ الباحِث، كما أَشَرتُ سلفًا.

منهج البحث وأَهدافه

المنهجُ المتَّبَعُ في دراسـتنا لِلمديح الدينيّ في شعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ يَعتمد في خُطَّته على المنهج الوصفيّ التحليليّ.

١. نظرة عابرة على فنِّ المديح

المدح لغةً؛ نقيض الهجاء، وهو حُسـنُ الثناء؛ يُقـال: مَدَحتُه مِدحَةً واحدة ومَدَحَه يَمدَحهُ مَدحًا ومِدحَةً[٣]. أَمَّا المدح في الأَدب؛ فَهُوَ فنٌّ مِن فنون الشعر الغنائيّ يقوم على

عاطفة الإعجاب، ويعبِّر عن شعور- تجاه فرد مِن الأَفراد، أَو جماعة أَو هيأة- مَلَكَ على الشاعر إحساسه، وأَثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه[٤]. فإنَّ المديح فنّ أَدبي طغى على جميع الفنون العربيَّة النثريَّة والشعريَّة قديمًا. إنَّهُ نزعة داخليَّة تنشأ مع الإنسان بالفطرة، وتنساب في دمه جاريةً بعروقه، فتخفق مع كلِّ نبضةٍ من نبضات قلبه وروحه[٥].

تعوَّد العرب منذ العصر الجاهليّ أَن ينوِّهوا في أَشعارهم بأَشرافهم وذوي النباهة منهم، ويتحدَّثوا عن خصالهم النبيلة مِن الكرم والشجاعة والحلم والوفاء وحماية الجار، وكان لا يُعَدُّ السيِّد فيهم كاملًا إلَّا إذا تغنَّى بنباهته ومناقبه غير شاعرٍ، ومضوا على هذه السنَّة في الإسلام، فكلُّ سيِّدٍ فيهم وكلُّ ذي مكانة يودُّ لو يَحظى بشاعر يُشيدُ به، حتَّى يسير الركبان بذِكْره[٦].

مع الإسلام طرأَ تطوُّر على شعر المديح؛ لأَنَّ الفضائل التي كان الشاعرُ الجاهليّ يتغنَّى بها دخل عليها التعديل مِن وجهة النظر الإسلاميَّة، وبما أنَّ القيم الإسلاميَّة جاءت لتحلَّ مكان القيم الجاهليَّة، فقد كانت بحاجة إلى مَن يعزّزها ويتغنَّى بها، فقام الشعراء بهذا الدور يمدحون الرسولﷺ، ويدافعون عن الإسلام[٧]. فإذا أردنا أن نتكلَّم عن نشوء المديح النبويّ في الشعر العربيّ، يجب أن نقول بأَنَّهُ عندما بعث الرسولﷺ اتَّجهت إليه أنظار العرب في الجزيرة العربيَّة، وانقسموا تجاه رسالته السماويَّة ما بين مؤيِّد لها ومؤمن بها، ومتنكِّر لها كافر بها، فالجاحد لهدي النبيّ الأمينﷺ هاجمه وأظهر الخوف على القيم الجاهليَّة التي تحفظ امتيازاته، والمصدِّق المؤمن توجَّه بالمدح إلى الرسول الكريمﷺ. ومِن هنا نشأَ المدح النبويّ، وافترق عن غيره من المدح؛ لأَنَّه مرتبط بذات النبيّ المصطفىﷺ، والذي يختلف عن غيره من البشر[٨].

وفي هذا السياق يرى الدكتور غازي شبيب بأَنَّهُ بِتشجيع من الرسولﷺ هبَّ

شعراء المسلمين يُبيِّنون الفضائل، ويدافعون عن العقيدة وراية الدين، وعن صاحب الرسالة، ويقارنون وضع العرب قبل الإسلام وما هم عليه من جاهليَّة عمياء وفتنة جهلاء، وما آلوا إليه بعد الإسلام وفضله؛ إذ أصبحوا بنعمته إخوانًا. كان طبيعيًّا أن يتعرَّض شعراء الإسلام لِشخصيَّة الرسول مادحين ومثنين، بِوصفه حاملًا لواء الدين، صابرًا على أَذى المشركين[٩]. ومِن هذا المنطلق بِما أَنَّ الرسول الأَكرمﷺ هو قدوة المسلمين في أَعمالهم وسلوكهم، فَصاروا يمتدحونهُ بأَشعارِهِم، مُنذُ أن مَنَّ الله عليهم بِنورِ الإِسلام، ولذا نُشاهدهُم يتوسَّلون بِه ويستعطفون إِليه بأَشعارِهِم، كما فَعَلَ كعب ابن زهير حين وَفَدَ على النبي الكريمﷺ وقالَ قصيدةً عنوانها (بانت سعاد) فأَلقى الرسول الأَعظمﷺ بُردتَهُ، ومِن ثَمَّ اهتم الشعراء مِن بَعدِه بهذا اللون مِن الشعر، وساروا على خُطاه في مدحهم لِرسول اللهﷺ، فبيَّنوا في قصائدهم خُلق النبيﷺ ووَصَفوا مناقبه وصفاته الحميدة.

ومِمَّا يجدر ذكره أَنَّ الشاعر عادةً في مدحه لِلنبي الأَكرمﷺ يأَتي بأَبياتٍ من النسيب النبويّ في مقدِّمة القصيدة، ومِن ثَمَّ يذكر نماذج شتَّى في مجال مدح صفات النبيﷺ الخُلُقيَّة وصورته الخَلقيَّة الجسميَّة، ومِنها تحدُّث الشاعر عن مولد رسول اللهﷺ، فضائله، ومعجزاته الماديَّة والمعنويَّة، والإشادة بجهاده وغزواته، ومنزلته بين الأنبياء وسائر الخَلق، ومِن ثَمَّ يذكر الشاعرُ ذنوبه التي اغترفها طوال حياته، ويطلب من الله أَن يغفر له ذنوبه متوسِّلًا بالنبيّ الأكرمﷺ. كما يقول الشاعر ابن حجَّة الحمويّ بأَنَّ الغزل الذي يصدَّر به المديح النبويّ، يتعيَّن على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدَّب، ويتضاءل ويتشبَّب مطريًا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأَكناف حاجر، ويطرح ذكر محاسن المرد، والتغزُّل في ثقل الردف، ورقَّة الخصر، وبياض الساق، وحُمرة الخدِّ، وخضرة العذار، وما أشبه ذلك[١٠].

اهتم الشعراء بِالمديح في مختلف العصور الأَدبية؛ وذلك لما له مِن مكانةٍ مرموقةٍ في الساحة الأَدبيَّة، ولذا لا يوجد شاعر لم ينظم في المديح، وممَّا يسترعي الانتباه أنَّ عامَّة الناس على مرِّ العصور اهتمُّوا أيضًا بهذا الفن الشعريّ اهتمامًا ملحوظًا. ويُعدُّ المديح أبرز الفنون الشعريَّة عند العرب على الإطلاق، رافق الشعر منذ نشأته الأولى كما يرافق الوتر العود، فعلى الرغم مِن التطوُّرات التي طرأت على العمليَّة الشعريَّة ومِن التبديل الذي أَصابَ الشعر من حيث المفاهيم والمقاييس، فإنَّ المديح لم يغبْ في يوم مِن الأيَّام عن مسرح الشِّعر، بل ظلَّ هو الأصل، وسائر الفنون الشعريّة هي الفرع(١١).

لقد نُظِمَت المدائح النبويَّة غالبًا بعد وفاة رسول الإسلامﷺ، ويُدعى الشعر الذي قيل في ميت (رثاء)، ولكنَّهُ في الرسولﷺ مديحًا. وفي استخدام المديح بَدَلَ الرِّثاء إشارة إلى أنَّ النبيﷺ كأَنَّهُ موصول الحياة؛ نظرًا لأنَّ شريعته حيَّة، أو قد يقال: إنَّ شعر الرِّثاء لا يسمَّى رثاءً إلَّا إذا قيل في أعقاب الموت، أمَّا إذا قيل بعده بزمنٍ طويل فهو مديح. ومِن هنا يمكن أنّ نقول: إنَّ حسَّان بن ثابت رثى الرسولﷺ، وإنَّ البوصيريّ مَدَحَهُ؛ والسبب في اختلاف التسمية أنَّ الأوَّل نَظَمَ قصائدهُ بُعيد وفاة الرسولﷺ، وأنَّ الثاني قالها بعد وفاتهﷺ بقرونٍ عدَّة(١٢).

شَبَّ رسول اللهﷺ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه مِن أَقذار الجاهليَّة؛ لما يريده مِن كرامته ورسالته، حتَّى بلغ أَن كان رجلًا أَفضل قومه مروءة، وأَحسنهم خُلقًا، وأَكرمهم حسبًا، وأَحسنهم جوارًا، وأَعظمهم حلمًا، وأَصدقهم حديثًا، وأَعظمهم أَمانةً، وأَبعدهم عن الفحش والأَخلاق التي تدنِّس الرجال(١٣).

اهتمَّ الشعراء في صدر الإسلام بالصفات الخُلُقيَّة أو المعنويَّة لِشخصيَّة الرسول الأَكرمﷺ اهتمامًا ملحوظًا أَكبر من اهتمامهم بجانب صورته الخَلقيَّة الجسميَّة، موكِّلين الاهتمام بهذا الجانب لِلسيرة النبويَّة الشريفة.

فمِن أَجمل الأبيات التي تحدثت حول صفات النبيﷺ الخَلقيّة الجسدية وأَشهرها هي القصيدة التي قالها أَبو طالب، والتي يقول في مطلعها:

وأبيـضُ يستَسقَي الـغَـمَامُ بِـوَجـهِـهِ ثِـمالُ اليتَامَي عِصمَةٌ لـلأرامِـلِ[١٤]

أَشارَ أَبو طالب بن عبد المطلبعليه السلام بكلمات جميلة وواضحة جليَّة إلى صورة وجه النبيّﷺ المبارك مؤكِّدًا على بياض بشرته.

وقال شـاعر الرسـولﷺ - حسَّـان بن ثابت- أيضًـا بِعباراته العذبة والسلسـة، وأسلوبه الرصين، وديباجته المطبوعة في هذا الحقل:

مُـبـارَكٌ، كـضـيـاءِ الـبـدرِ صُـورتُـهُ ما قـالَ كـان قضاءً غـيرَ مَـردُودِ[١٥]

وممَّـا يجدر ذِكره أنَّ شـعراء العرب تحدَّثوا كثـيرًا عن الصفات الخُلُقيَّـة أو المعنويَّة لِشـخصيَّة الرسـول الأَكرمﷺ، فَمِن هـذا المنطلق نشـير إِلى أَحد جوانبهـا؛ ولنأَخذ الشـجاعة أنموذجًا، قـال البوصيريّ في مطلع قصيدته وهو يمدح بسـالة النبيّﷺ في إقدامه على الأَعداء إذا حمي الوطيس:

راعـت قـلـوبَ الـعِـدا أنـبـاءُ بِعثَتِه كنَبأةٍ أجفلت غُفلًا مِـن الـغَـنَـمِ[١٦]

وصَوَّر لنا الشاعر مالك بن النمط هذا الأَمر بصورةٍ أُخرى، قائلًا:

فـما حَمَـلَـت مِـن نـاقَـةٍ فـوقَ رَحلِها أَشَـدَّ عـلى أعـدائِـهِ مِـن مُحَـمَّـدِ[١٧]

وممَّـا يسـترعي الانتباه ما تشـتمل عليـه كلُّ هذه الأَبيـات مِن الرقَّة والانسـجام، والألفـاظ العذبـة الخلَّابة، والعبارات السلسـة البعيدة عن الركاكـة، القريبة من أفهام الجميع.

إِنَّ المديح النبويّ قد اتَّسع ورسخ، واتَّضحت معالمه في العصر المملوكيّ، وأَضحت له تقاليده وأُصوله، وظهر الشـعراء الذين اشتُهروا بِه وأَجادوه، فشغلت المدائح النبويَّة قدرًا كبيرًا من دواوين الشعراء، ثمَّ استقلَّت بدواوين خاصَّة بها. إِنَّ السيرورة التي رزقها

فنُّ المدائح النبويَّة، لم تتهيَّأ في العصر المملوكيّ لِفنٍّ شعريٍّ آخر، فنكاد لا نجد شاعرًا مِن هذا العصر لم تكن له مشاركة في هذا الفنِّ الشعريّ، وبلغ مِن الانتشار والكثرة والاتِّساع حدًّا استعصى معه على الحصر، وأيّ نظرة على فهرس مخطوطات أيَّة مكتبة تُثبت ذلك، وتجعل المرء في عجب من مشاركة معظم الشعراء في هذا الفن[١٨].

إنَّ كثرة الحروب الصليبيَّة والمغوليَّة جعلت من أدب العصر المملوكيّ أدبًا نضاليًّا قوميًّا، فتغنَّى الشعراء في هذا العصر بانتصارت قادة المسلمين على التتار والصليبيِّين الهمجيِّين، ممَّا أدَّى إلى شيوع لون آخر من الشعر في عهد المماليك، هو الشعر الحماسيّ الذي كان يحثُّ المقاتلين للمشاركة في ساحات الوغى لمواجهه الأعداء، وكذلك شاعت النزعة ذات العاطفة الدينيَّة في أدب هذا العصر، والتي تحمل بين طيَّاتها طابعًا دينيًّا تدعو بـه الناسَ إلى مكافحة قادة الطغاة والهيمنة، ونصرة المضطهدين. وفي هذا المضمار يقول محمود رزق سليم: «إنَّ العصر كان عصر تعصُّب إسلامي وغيرة دينيَّة واسعة بسبب حروب الصليبيِّين والتتار وطمعهم في أملاك المسلمين والقضاء عليهم وعلى دينهم، ومنها أنَّ العصر كان عصر ظلم وإرهاق واستبداد من الحكَّام، فلاذ الشعب ببثِّ آلامه وبالتوسُّلات إلى الله سبحانه أن يكشف عنه الغمَّة، وأشرف ألوان التوسُّلات ذِكْر النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والتشفُّع به إلى الله»[١٩].

وممَّا هو جدير بالذِّكر أنَّهُ كان لِقسم مِن الناس في المجتمع المملوكيّ نزعة إباحيَّة، بحيث انغمسوا في الشهوات وشرب الخمر، وكان لِلقسم الآخر نزعة دينيَّة، فانقطعوا إلى عبادة الله والتمسُّك بِأهل بيت النبوَّة عليهم السلام، والاستنجاد بهم لمواجهة هذه المحن والآلام وضنك العيش، فكان لكلِّ هذه النزعات والاتِّجاهات أثرها في الشعر المملوكيّ، فقد أدَّت هذه النزعة الإباحيَّة إلى شيوع شعر المجون والخلاعه مِن الغزل المؤنَّث والمذكَّر والخمر والفكاهة، على حين أدَّت النزعة الدينيَّة إلى نشوء الشعر الدينيّ

مِن المدائح النبويَّة والشعر الصوفيّ وشعر التوسُّل والالتجاء[٢٠].

كان المجتمع المملوكيّ- كما نعلم- مجتمعًا يَسُودهُ نظام الإقطاع العسكري، والمماليك كانوا يؤلِّفون رأس طبقة هذا الهرم، فإنَّهُم بسلطتهم على هذه الأَراضي وأَخذهم مالَ الناس بالباطل واضطهادهم لهم، ساهموا في شيوع الفقر والجوع، والأَوبئة؛ ومِن هذا المنطلق يمكن أَن نقول بأَنَّ أَهم البواعث التي أَدت إِلى ظهور المديح النبويّ في هذا العصر يعود إِلى هذا السبب، يقول الدكتور محمود سالم محمَّد في هذا السياق بأَنَّ الشعراء لم يكونوا بعيدين عن هذا الموقف، فكانوا يسجِّلون في شعرهم مشاعر السخط على مظاهر البؤس الذي يحكم حياة العامَّة، وإِذا لم تسعِف بعضهم الشجاعة الكافية لِلتصريح بما يجول في أَنفُسِهم كانوا يعتمدون طريقة غير مباشرة، ويتَّجهون إِلى الدين ومدح النبيّ الكريمﷺ، فَيُقَدِمون المثل الأَعلى لِلعدل والرحمة بالناس، ويُقارِنونَ بينَ ما كان عليه المسلمون الأَوائل، وبينَ ما آلَ إِليه الأَمر في عهدهم لعلَّ حكَّامهم الذين يتمسَّكون بالدين ويظلمونهُم ينتبهون لذلك، فلا يستمرُّون فيما هم عليه[٢١]. لذا كان لِتدهور الحياة السياسيَّة واضطرابها؛ بِسبب النزاع الدائر بين السلاطين والأُمراء لِتملُّك هذه الأَراضي، وأَيضًا سوء الحالة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، والحروب الصليبيَّة والتتريَّة؛ دور فعَّال في ازدهار فنِّ المديح النبويّ في هذا العهد، ممَّا أَدَّى إِلى تَشَفُّع الناس بِشكلٍ عام والشعراء بِشكلٍ خاص بِالرسول الأَكرمﷺ؛ لِيخفِّفوا عن أَنفسهم ما يحلّ بِهم.

ومِن هذا المنطلق اتَّسعت المدائح النبويَّة في العصر المملوكيّ اتِّساعًا كبيرًا، وانتشرت بين الأدباء والعلماء، يتنافسون في نظمها، ويذهبون بها كلّ مذهب، ويسارعون إِلى إنشادها في المجالس الخاصَّة والمحافل العامَّة، وفي المناسبات الدينيَّة المختلفة التي كثرت في هذا العصر كثرة مفرطة[٢٢].

يَظلُّ المديح الملتزم منحصرًا في النصوص التي تتناول المديح، لِمن يُجسِّدون

الإسلامَ في حقيقَتِه (وفي مقدمتهم: أَهل البيت عليهم السلام)، إذ إنَّ مَدح هؤلاء لا يرتَبِط بِموقِع دنيويّ؛ (نظرًا لِعَدَم اهتمامهم بِتَسَلُّم السلطة الدنيويَّة)، ولا بإغداق المال، ولا أَيّ متاعٍ آخر يستَجلِب المديح الزائف، بل على العكس يَظلُّ المديح لِهؤلاء سببًا في إلحاق الأَذى بِالشاعر[٢٣]. وهذا ما لمسناه في مدَّة الأَزمة السياسيَّة في هذه الحقبة الزمنيَّة، ولذا عانى الشاعر الشيعيّ في العصر المملوكيّ ما عاناه من الويلات والآلام؛ وذلك بِسبب الأَعمال التعسُّفيَّة، والفساد السياسيّ والاقتصاديّ الَّذي كانت تمارسه السلطة الحاكمة؛ وذلك لأَنَّه بعد استيلاء صلاح الدين على مصر وسقوط الدولة الفاطميَّة؛ انقلبت طبيعة الثقافة مِن اللون الشيعيّ إِلى السنِّيّ، ولم يكن هذا الانقلاب شاملًا في وقت واحد، بل ظلَّت رواسب الثقافة الشيعيَّة متغلغلة في الفكر المصريّ مدَّة طويلة حتَّى العصر المملوكيّ[٢٤]. ولكنَّ هذا الأَمر لم يَحُل دون معنويات شعراء الشيعة العالية، فإِنَّهُم استطاعوا أَيضًا أَن يُنفخوا روح التشيُّع الثوريَّة في شعرهم الدينيّ الزاخر الرائع، فكانَ شعرهم مرآة جليَّة تعكس العواطف الدينيَّة الصادقة، والمشاعر والأَحاسيس لأَتباع أَهل بيت النبوَّة، ومِن هذا المنطلق تجلَّى الخطّ الفكريّ والثقافيّ الدينيّ للشيعة في أَدب شعراء التشيُّع، وتبلور في قوالب خاصَّة بِه، لذا أَخَذَ شعراء التشيُّع على عاتقهم الدفاع عن أَهل البيت عليهم السلام مدحًا ورثاءً، آخِذينَ مِن شعرهم الولائيّ وسيلة لِتنوير المجتمع المملوكيّ، وحثِّه على القيام بِمسؤوليَّاتِه لِلتَّصَدِّي لِلمستعمرين وجلاوزتهم، ومكافحة التخلُّف، ومناهضة الظلم، ومناصرة الحقِّ، ورَدِّ الشُّبُهات والفتن، والعمل على تطبيق الفكر العلويّ ومنهج أَهل البيت عليهم السلام في البلدان الإِسلاميَّة عامَّةً وفي المجتمع المملوكيّ خاصَّةً.

٢. أهم جَوانب مَدح أَهل البيت عليهم السلام في شعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ

٢-١. في الحديث عن الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج هي مِن أَبرزِ الفضائل الَّتي اختُّص بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأَهَمِّها؛ إذ قالَ اللهُ الحكيم في محكم كتابِهِ الكريم: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ﴾[٢٥]. وَمِن هذا المنطلق تَحَدَّثَ الشاعرُ صفيِّ الدين الحِلِّيّ عَن ليلة الإسراء، ثُمَّ صَوَّرَ لنا في هذه الأَبيات مَكانة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم المرموقة والعظيمة عِندَ الله تعالى وما نالَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِن الفضائل والدَّرجات في ليلة الإسراء والمعراج، مُعَبِّرًا عن عواطفه ومَشاعِره الملتَهِبَة تِجاه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم؛ وذلك لأَنَّ الله كَرَّمَهُ بِما يليق بِمقامه السامي، وأَشارَ أيضًا الشاعرُ في الشطرِ الأَخير مِن البيت الثاني إلى أَنَّ الله أَكرَمَ الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم بِبَهاءٍ ورفعَةٍ وعزَّةٍ لا تُقصَد، لذا تَحَدَّثَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذه الأَبيات عن ليلة المعراج وما تحمل بين طيَّاتها مِن أَحداث شَيِّقَة، مشيرًا إلى أَنَّ لِلنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مكانة عالية عند الله لا يستطيع أَيّ أَحَدٍ مِن البشرية جمعاء الحصول عليها بتاتًا.

وَمَن رَقِيَّ في الطِّباقِ السّبعِ مَنزِلَةً ... ما كانَ قطّ إِليها قبلَ ذاك رَقي
وَ مَن دَنا فتَدَلَّى نَحوَ خالِقِهِ ... كقاب قوسَين أَو أَدنَى إِلى العُنُقِ[٢٦]

ومِمَّا يجدر ذكره أَنَّ البيت الثاني مِن هذه القصيدة مأَخوذ مِن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى*فَأَوْحَى إِلَىَ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[٢٧]، فَفِي هذا البيت لم يُغَيِّر صفيِّ الدين الحِلِّيّ سوى بعض الكلمات، وهذا إن دَلَّ على شيء فإِنَّما يدلُّ على أَنَّ الشاعر كان في شَطر مِن حياتِه الأَدبيَّة يُقَلِّد القدماء في أَساليبهم.

٢-٢. في الحديث عن سعة رحمة أَهل البيت عليهم السلام بِالبشريَّة

أَشـارَ الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ هنا إلـى الرحمة النبويَّة، هذه الصفـة الطيِّبة التي سايَرَتهُ في جميع مراحل حياتِه الشريفة في تعامُلِه مع الناس، والتي شملت الجميع في هذا الكون، فَكمَا نعلمُ بأَنَّ الرحمة هي الصورة الواضحة الجليَّة في حياة الرسـول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم المباركة، فَهِي مِن الصفات والشمائل التي بَرَزَت في شَخصيَّتِه الكريمة على نطاق واسع، فَكانت عاملًا أساسـيًّا في التفاف الناس حول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لها الأثر الكبير والفَعَّال في اسـتمرار هذه الدعوة المحمَّديَّـة، وتفوُّقها على الأَديان السـماوية الأُخرى،؛ وذلك لاحتوائها على جميع الفضائل التي جاءَت بِها الرسالات السماويَّة المنصرمة. روافِد هذه الرحمـة كانت تَتَدَفَّقُ ينابيعها مِن قلب النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الرقيق والمفعَم بالحبِّ والإخاءِ الَّذي أَزالَ الضغينة والظلم الموجود في قلبِ الإِنسان تجاه أَخيه المسلِم، وهذا هو ما أَكَّدَهُ الله سبحانـه وتعالى في محكـم كتابه الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْـتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢٨].

الرسـول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم بُعِثَ على وجـه هذه الكرة الأَرضية؛ ليكـون الملجأ والملاذ الوحيـد والآمِن لنجاة البشرية جمعاء مِن عذاب يوم الدين، ويتسـهل هذا الأَمر إِذا آمَنَّا بـه ايمانًا صادقًا خالصًا وعملنا بما دعانا إِليـه وأَن نجتنب مما نهانا عنه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وذلك قُربةً إِلى الله، ولِنتذكر أَنَّ ما نهى عنه الشرع ما هو إِلَّا لِمصلحتنا أَوَّلًا وأَخيرًا، وقد شَـدَّدَ الله سبحانه وتعالى مرارًا وتكرارًا على هذه الشيمة الحَسَنة والفضيلة الطيبة التي كـان يتحلى بها الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم طـوال حياته المباركة، وفي هذا الصدد جاءَ في قوله تعـالى: ﴿وَمَا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢٩]، فَقالَ الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا السياق مُنشدًا:

إِن حَـلَّ أَرضَ أُنـاسٍ شَـدَّ أَزرَهُـمُ بِـما أَتـاحَ لَهُـم مِـن حَـطِّ وِزرِهِـمِ

آراؤُهُ وَعَطاياهُ وَنَقمَتُهُ وَعَفوُهُ رَحمَةٌ لِلناسِ كُلِّهِم[٣٠]

٢-٣. في الحديث عن شوقه لِزيارة قبر النبيّ الكريمﷺ

عَبَّرَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذه القصيدة عن مدى حُبِّهِ الصادق تجاه الرسول الأَعظمﷺ، الحُبّ الحقيقي الَّذي تتدفَّق ينابيعهُ مِن أَعماق قلب الشاعر، ومِن هذا المنطلق يَصِفُ لنا الشاعر حالاته وأَحاسيسه ومَشاعِره العارمة، ونوازع حَنينِه وتشوقه إلى أَرض الحجاز، وهو يقطعُ المسافات لِلوصولِ إلى مَدينة الحبيب المصطفىﷺ، مُعبِّرًا عن مَدى شوقِهِ لِزيارةِ المدينة المنوَّرة، وهو يُقَبِّلُ هذه التُربة الشريفة:

تَرُضُّ الحَصى شَوقًا لِمَن سَبَّحَ الحَصى لَدَيهِ وَحَيَّا بِالسَلامِ بَعيرُها
... وَفاخَرَتِ الأَفواهُ نورَ عُيونِنا بِتُربِكَ لَمَّا قَبَّلَتهُ ثُغورُها[٣١]

٢-٤. في الحديث عن مكانة أَهل البيتعليهم السلام العظيمة بين الأَنبياء وسائر الخَلْق

اهتمَّ الشعراءُ في العصر المملوكيّ بإنشاد العديد من القصائد التي تُعَبِّر عَن فَضلِ أَهل بيت النبوَّةعليهم السلام على البشرية جمعاء، فَأَشارَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ هنا أَيضًا إلى هذا الجانب الشعريّ المهمّ في مدحِه لِلنبيّ الكريمﷺ، وتفضيله على سائر الأَنبياءِ والرُّسُل، ولذا بَيَّنَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ بمِدحَتِه النبويَّة أَنَّ رسول اللهﷺ هو خاتم الأَنبياء، وأَنَّ رسالتهُ هي خاتمة الرسالات السماويَّة، مشيرًا لما لِلرسول الأَعظمﷺ مِن مكانةٍ ساميةٍ ومرموقةٍ عند الله تعالى تفوق منزلة باقي الأَنبياء، كما وصفهُ الله سبحانه وتعالى بذلك في آياتٍ بيِّناتٍ، وحججٍ نيِّراتٍ، وبراهينَ ساطعاتٍ، ومِنها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُوْلَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾[٣٢].

أَرسَلَ اللهُ الرسول الأَكرمﷺ بِالقرآنِ مبشِّرًا وهاديًا به الناس لِيكون خاتم أَنبيائِهِ وأَصفيائه، وإِنَّنا عندما نقول بأَنَّ رسول اللهﷺ هو خاتم الأَنبياء لا نريد أَن نُنَوِّه بأَنَّ

مكانة النبيّ الكريمﷺ أَقلُّ درجة مِن مكانة باقي الأَنبياءِ والرُسُل، بل إِنَّ لِلرسول الأَعظمﷺ مكانة سامية ومرموقة لا يستطيع أَيّ أَحدٍ مِن البشر وسائر الكائنات الحصول عليها، ومِن هذا المنطلق أَشار الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ إِلى هذا الموضوع قائلًا:

يا خاتمَ الرُّسلِ بَعثًا، وهي أَوَّلُها فضلًا وفائزُها بالسَّبقِ والسَّبَقِ
جَمَعتَ كلَّ نفيسٍ مِن فضائلهم مِن كلِّ مجتمعٍ منها ومُفترِقِ[٣٣]

لذا فإِنَّ فَضلَ النبيّ الكريمﷺ على سائر المخلوقات والأَنبياء لا يخفى على أَيِّ أَحدٍ مِن البشر:

خَيرُ النَبِيّينَ وَ البُرهانُ مُتَّضِحٌ في الحَجرِ عَقلًا وَ نَقلًا واضِحُ اللَقَمِ[٣٤]

والدليل على هذا هو شهادة الأَنبياء والرُّسُل الذين جاؤوا قبل رسول اللهﷺ، فإِنَّهم حدَّثوا الناسَ وبِكُلِّ صدقٍ عن عظمة مكانة النبيّ الكريمﷺ وفضله عليهم:

وَعَلى نُبُوَّتِكَ المَعظَّمِ قَدرُها قامَ الدَليلُ وَأُوضِحَ البُرهانُ[٣٥]

وَصَفَ لنا الشاعر صفيّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا في هذه الأَبيات مكانة رسول اللهﷺ المرموقة والسامية عند الله تعالى، قائلًا بأَنَّ الله أَيضًا مَدَحَ فضائل الرسول الأَكرمﷺ، فقال سبحانه وتعالى حول شيم الرسول الأَعظمﷺ الجميلة في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣٦].

«مُحَمَّدُ المصطَفى الهادي النَبِيُّ أَجَـ لُّ المرسَلينَ اِبنُ عَبدِ اللهَ ذي الكَرَمِ»[٣٧]

****

«عُلًا مَدَحَ اللهُ العَليُّ بِها
فقال إِنَّكَ في كُلٍّ على خُلُقِ

فالخلقُ تُقسِمُ باسمِ اللهِ مخلِصَةً

وباسمِكَ أَقسَمَ رَبُّ العرشِ للصِّدقِ»[٣٨]

ممَّا يسترعي الانتباه أَنَّ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ أَشارَ في هذا البيت إلى الآية القرآنيَّة التي قال فيها الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣٩]، فَوَصفَ لنا الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ مرَّةً أُخرى في ضوء هذا البيت مكانة الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم العظيمة عند الله، قائلًا بأَنَّ الله هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يُقْسِمُ بِهِ في كتابه الكريم:

كَم بَينَ مَن أَقسَمَ اللهُ العَلِيُّ بِهِ

وَبَينَ مَن جاءَ بِاسمِ اللهِ في القَسَمِ[٤٠]

وتحدَّث الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في مكان آخر مِن القصيدة بأَنَّ الله أَخَذَ مِن الأَنبياء العهودَ؛ لأَنَّهم كانوا يعلمون بأَنَّ لِلنبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مكانةً تفوق منزلتهم؛ لأَنَّهُ كان أَقربُ منهم إلى الله تعالى، وأَنَّ رسالتهم وكتبهم السماويَّة كانت مقدِّمة لمجيء خاتم الأَنبياء صلى الله عليه وآله وسلم والإبلاغ عن رسالته الإلهيَّة.

أَخَذَ الإِلهُ لَكَ العهودَ عليهِمُ مِن قَبلِ ما سَمِحَت بِكَ الأَزمانُ[٤١]

وكذلك أَشار الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا إلى هذا الموضوع المهمّ في قصيدةٍ أُخرى لِيؤكِّدهُ قائلًا:

وَمَن لَهُ أَخَذَ اللهُ العهودَ على كُلِّ النبيِّينَ مِن بادٍ ومُلتَحِقِ[٤٢]

وممَّا يجدر ذكرهُ أَنَّ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ تَحَدَّثَ مِرارًا وتِكرارًا في قصائِدِه عن فضل الإِمام أَمير المؤمنين عليه السلام على المخلوقات والبشريَّة جمعاء، فإِنَّ الشاعر يعتَقِدُ بأَنَّ هذه الفضائِل والخصال الطيِّبة لا يمكن لها أَن توجد في أَيِّ شخصٍ آخر، ولو كان مقَرَّبًا من الله سبحانه وتعالى، مشيرًا إِلى أَنَّ الأَقوام على مرِّ العصور تحدَّثوا أَيضًا حول

فضائلك التي أبهرت الجميع على هذه الكرة الأَرضيَّة، وأَنَّ القرآن الكريم شـاهدٌ على فضلك على جميع هذه الكائنات الحيَّة:

شِـيَـمٌ مـا جُمِـعـنَ في بَـشَـرٍ قَـطـ ـطٍ وَلا حـازَ مِـثـلَـهُـنَّ الـعِـبادُ
خُـلُـقٌ يُخـجِـلُ الـنَسيمَ مِـنَ العَطـ ـفِ وَ بَـأسٌ يَـذوبُ مِـنـهُ الجَـمادُ
فَـلِـهَـذا تَـعَـمَّـقَـت فـيـكَ أَقـوا مٌ بِـأَقـوالِهِـم فَـزانـوا وَزادوا
وَغَـلَـت في صِـفـاتِ فَـضـلِـكَ ياسيـ ـنٌ وَصـادٌ وَآلُ سـيـنٍ وَصـادُ(٤٣)

ومِن ثَمَّ أَشـارَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ إِلى موضوعٍ آخر، علاوةً على ما أَسلفناهُ مِن فضائل وخصال طيِّبة تنتسب إلى الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، وهو أَنَّ للإمام عليّعليه السلام مكانـه سامية ومرموقة عند الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وسلم ترفعـهُ درجات عن باقي سائر البشر، وذلك لأَنَّهُ صهر النبيّ الكريمصلى الله عليه وآله وسلم ونفسـهُ التي لا يتخلَّى عنها في كلِّ الأَوقات، فأَشارَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّي إِلى هذا الموضوع قائلًا:

أَنـتَ سِرُّ النَبِيِّ وَالـصِـنـوُ وَابـنُ الـ ـعَـمِّ وَالـصِـهـرُ وَالأَخُ المستَجادُ
لَـو رَأى غَـيـرَكَ الـنَـبِـيُّ لَآخـا هُ وَإِلّا فَـأَخـطَـأَ الإِنـتِـقـادُ
بِـكُـمُ بـاهَـلَ الـنَـبِـيُّ وَ لَم يُلـ ـفِ لَـكُـم خـامِـسًا سِـواهُ يُـزادُ
كُـنـتَ نَـفـسًا لَـهُ وَعَـرسُـكَ وَابـنا كَ لَـدَيـهِ الـنِـساءُ وَالأَولادُ(٤٤)

وممَّا تجدر الإشـارة إليه أنَّ الشـاعر أَشـار إِلى الرسول الأَكـرمصلى الله عليه وآله وسلم عندما أَرادَ أَن يختـار الإِمام أَمير المؤمنينعليه السلام ليكـون وصيَّهُ، فإِنَّهُ لم يختَرهُ خَليفَـةَ الله على خَلقِه؛ لأَنَّهُ بعـل ابنتِهِ البتول الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام، فـإِنَّ الإِمام أَميرِ المؤمنينعليه السلام كان خيرَ النـاسِ خُلقـًا وخَلقًا بعد النبيِّ الكريمصلى الله عليه وآله وسلم، لذا فإِنَّ الرسـول الأَكرمصلى الله عليه وآله وسلم اختار الإمام عـليّعليه السلام أَخًا ووصيًّا له بأمـر الله سبحانه وتعالى، وتنصيبه وليًّا عـلى الأمَّة بعده، ومن مصاديـق ذلك قولـه سبحانه وتعالى في محكم كتابـه المجيد: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُـولُهُ

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٤٥)، فأَشارَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ إلى هذا الموضوع المهمّ والمصيريّ بالنسبة إلى الأُمة الإسلاميَّة قائلًا:

فوالله ما اختارَ الإلهُ مُحَمَّدًا ... حبيبًا وبينَ العالمينَ لهُ مِثلُ
كذلكَ ما اختارَ النبيُّ لِنَفسِهِ ... عَليًّا وصيًّا وهو لابنَتِهِ بَعلُ
وصَيَّرَهُ دونَ الأَنامِ أَخًا لَهُ ... وصِنوًا وفيهم مَن لهُ دونهُ الفَضلُ
وشاهِدُ عقلِ المرءِ حُسنُ اختيارِه ... فما حالُ مَن يختارُهُ اللهُ والرُّسلُ(٤٦)

تحدَّثَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ هُنا أَيضًا عن فضل الأَئمَّة الأَطهار عليهم السلام وَبشكلٍ عام على سائر المخلوقات في هذه الكرة الأَرضيَّة، مادِحًا إِيَّاهُم:

فَآلُكَ خَيرُ الآلِ وَالعِترَةُ الَّتي ... مَحَبَّتُها نُعمى قَليلٌ شَكورُها(٤٧)

وقد بيَّن الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا البيت أَنَّ حُبّ أَهل بيت النبوة ومودَّتهم نعمة مِن نِعَمِ الله التي مَنَّ بها علينا، لذا فإِنَّ الله يسبغُ نِعَمَهُ علي الناس مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إِلَّا القليل منهم، وهو ما أَكَّدَهُ الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾(٤٨).

وممَّا يجدر ذكرهُ أَنَّ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ تحدَّثَ أَيضًا عن مَدحِ الله سبحانه وتعالى لِفضائل أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام وخصالهم الطيِّبة وطهارتهم مِن كُلِّ رِجسٍ في محكم كتابه الكريم، إِذ قال سبحانهُ وتعالى بِحقِّهِم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤٩). وَمِن هذا المنطلق يعترفُ الشاعر بأَنَّ مدحهُ وثناءَهُ على آل البيت عليهم السلام لا يستطيع أَن يضاهي ما قاله الله تعالى في القرآن الكريم، لذا فإِنَّ المدح والثناء الذي يصدر مِن جانب الله تعالى يكون أَعظم درجة من غيره، وهذا ما أَشار إِليه الشاعر في قوله:

إِنَّـــما اللهُ عَـنـكُـمُ أَذهَـــبَ الـرِجـــسَ فَـــرُدَّت بِـغَـيـظِـهـا الإِحـتِـدادُ
ذاكَ مَـدحُ الإِلَـــهِ فيكُم فَـإِن فُـهـــتُ بِـمَـدحٍ فَـذاكَ قَـولٌ مُـعـادُ[٥٠]

٢-٥. في الحديث عن جهاد آل بيت النبوة عليهم السلام في ساحة الوغى وشجاعتهم

إِنَّ قضيـة جهـاد الرسول الأَكـرم صلى الله عليه وآله وسلم ومكافحتِـه لِطُغاةِ الكفـر والرذيلة والهيمنة وجبابرة الإلحاد مِن أَهمِّ الموضوعات وأَبرزها، وقد عالجها شعراء المديح في عهد المماليك وسلَّطوا الأَضواء عليها. وتُعدُّ الشجاعة والمهابة من الصفات الطيِّبة والحميدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتحلَّى بها طوال حياته الشريفة، فاهتمَّ الشعراء على مرِّ العصور بِتَمجيد هذه الصفة والشيمة الطيِّبة اهتمامًا ملحوظًا. ومِن شجاعة الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم استلهم الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ صـورًا رائعة خلَّابة مؤثِّـرة صادقة، مُعبِّرًا عـن ذلك بأَلفاظٍ رقيقةٍ، وفي هذا الصَدَد أَشارَ الشاعر إِلى أَنَّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو الشخص الوحيد الذي يمتلـك هذه القـوَّة القاهرة في ساحة الوغى، وأَنَّهُ المثل الأَعلى في الشـجاعة، لذا بِفَضلِ مِـن الله وتوفيقـه ثُمَّ جهوده الجبَّارة التـي بذلها في مجال إعلاء كلمة الحـقِّ وانقاذ البشريَّة ونشر بذور العرفان والبصيرة والإخلاص استطاعَ أَن يخرِجَ أُمَّتَه مِن ظلام الجهل والغفلة إِلى نور الهداية وسُبُل الرَّشـاد والكمال، وممَّا يجدر ذكرهُ أَنَّ الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان دائمًا متأَهِّبًـا لِقهرِ أَعداء الإِسـلام، لِذلك وقف طوال حياته المباركة كالجبـل أَمام الأَعداء في أَصعب الحالات، فكان النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ملاذًا يلجأ إِليه الناس المسـالمة والقوة القاهرة التي تقمع تطاول العدوّ وتزجر المتعدي، وكان ذلك في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع راية الحقِّ، ومطاردة الباطل.

بُعِث الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم بشيرًا ونذيرًا لِلبشريَّة جمعاء ليكون رحمةً لِلعالمين، ولكن هـذه الرَّأفة والرَّحْمَة بالمخلوقـات وحتَّى الجمادات مِن جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تمنعه مِن أَن يعمَل بما أَمَرَهُ الله تعالى بِه، فإِنَّهُ لم يتراجع في حياته الشريفة قيد أَنملة عن صَدِّ هجمات

أَعـداءِ الإسلام وذلـك للحماية والوقاية والنـصر على قادة الطغـاة والهيمنة وعملائهم والنجاة مِن الظالمين ورَدِّ كيد المجرمين؛ لأَنَّهُ وكما نعلم بأَنَّ أَعداء الإسلام لا يألونَ جُهدًا في محاربـة هذا الدين والقضاء عليه بِكُلِّ وسيلة، لذا فـإِنَّ الرسول الأَكرمﷺ في بعض الأَحيان- لأَجلِ الإبلاغ عن رسالته الإلهيَّة المحمَّديَّة- يلجأ إلى الحرب في ساحة الوغى مع أَعداء الإِسلام، ومِن هذا المنطلق أَشـارَ الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ إلى هذا الجانب المهمّ في هذه القصيدة قائلًا:

أَفتى جُيوشَ العِدى غَزوًا فَلَستَ تَرى ... سِـوى قَـتيـلٍ وَمَـأسـورٍ وَمُـنـهَـزِمِ
سَـنـاهُ كَـالـنـارِ يَجـلـو كُـلَّ مُـظـلِـمَـةٍ ... وَالبَـأسُ كَالنارِ يُفني كُـلَّ مُجـتَـرِمِ(٥١)

لذا فإِنَّ شـدَّة بَسَـالة النبي الكريمﷺ وشجاعته في ساحة الوغى لا توصف، فإِنَّهُ مؤيَّـدٌ بروحِ القُدُسِ، ولكن مع كُلّ هذه البسـالة قد بُعِثَ رحمـةً لِلناس، لذا كان رؤُوفًا عطوفًا متسامحًا حتَّى في تعامله مع الأَعداء في الحرب، فكان يَغُضُّ طَرَفهُ أَمام محاولاتهم الخائبة، يقول صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا السياق مُنشدًا:

مُـؤَيَّـدُ الـعَـزمِ وَالأَبـطـالُ في قَـلَـقٍ ... مُـؤَمَّـلُ الصَفحِ وَالهَـيـجـاءُ في ضَرَمِ
نَـفـسٌ مُـؤَيَّـدَةٌ بِـالحَـقِّ تَـعـضُـدُهـا ... عِنايَةٌ صَـدَرَت عَن بـارِىءِ النَسَمِ(٥٢)

وتحدَّثَ الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في قصيدةٍ أُخرى حول نُصرة الملائكة لِلرسول الأَكـرمﷺ في ساحة الوغى، مشـيرًا إِلـى أَنَّهُ ليس وحيـدًا منفـردًا في مواجهته لِلقومِ الظالمين:

وَنُصِرتَ بِالرُعبِ الشَديدِ عَلى العِدى ... وَلَـكَ الملائِكُ في الوَغى أَعـوانُ(٥٣)

وَمِن ثَمَّ أَشارَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا إِلى بسالة جيش الرسول الأَعظمﷺ وشـجاعته واصفًا إِيَّاهُمْ بأَبطالٍ وشـجعانٍ جعلوا قلوبَهم دروعًا لأَجسـامهم دون أَن يخشوا الموت:

لاقـاهُـمُ بِـكُـماةٍ عِـنـدَ كَـرِّهِـمِ عَلى الجُسومِ دُروعٌ مِن قُلوبِهِم[٥٤]

كـان الإمام عليُّ بن أَبي طالب عليه السلام طوال حياته المباركة يسـعى جاهدًا لِبَذلِ الغالي والنفيس للدفاع عن الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة المحمَّديَّة، دون المبالاة بالموت؛ لأَنَّهُ كان على عِلمٍ بأَنَّ جهاده في سبيل الله يضمن له الخلود الأَبديّ، فأَنشَـدَ الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا المضمار قائلًا:

وَمُجَـلِّي الـكـروبِ عـن سيِّدِ الرُّسـ ـلِ بِـبَـدرٍ وخَـيـبَرٍ وحُـنـيـنِ[٥٥]

٢-٦. في الحديث عن معجزات الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم

كـما نعلم بِأَنَّ المعجـزة هي أَمرٌ خارق لِلعادةِ؛ وذلك لإِثبات نبـوَّة نبيٍّ مِن أَنبياء الله سبحانه وتعالى؛ لِتؤكِّد صِدقَ ادِّعائِه وحقَّانيَّة نبوَّته ورسالتِه السـماويَّة، فلا يسـتطيع أَيّ أَحـدٍ مِن البشر حتَّى النوابغ والعباقرة على المجـيء بِمثلها دون الاستعانة بِالقوَّة الإلهيَّة؛ لأَنَّهـا مِن عِند الله سبحانه وتعالى. كان هناك إقبال كبير لشـعراء المديح النبويّ في العصر المملوكـيّ على ذِكر هذه المعجزات النبويَّة في ثنايا قصائدهم، ومِن هذا المنطلق اتَّسـعت رُقعة هذا اللون مِن الشـعر اتِّسـاعًا كبيرًا؛ وذلك بِسببِ كثرة الأَحاديث حول معجزات النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والتأَليف فيها، وقد عُنِي الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ عناية كبيرة بِذكرِ هذه المعجـزات والكرامات في مَواضع عدَّة في قَصائده. فتحدَّث أَيضًا عن انصياع جميع هـذه الحيوانات والكائنات إِلى أَوامر النبيّ الكريـم صلى الله عليه وآله وسلم؛ وذلك لإِحقاق الحق وإِزهاق الباطل.

وَغَدَت تُكَلِّمُـكَ (الأَباعِرُ)[٥٦] وَالظِبا
وَ(الضَبُّ)[٥٧] وَالثُعبانُ وَ(السِرحانُ)[٥٨]
وَالجِـزعُ حَـنَّ إِلى عُـلاكَ مُسَـلِّما
وَبِبَطـنِ كَفِّـكَ سَبَّـحَ الصُـوّانُ

وَهَـوى إِلَيـكَ العِـذقُ ثُـمَّ رَدَدتَـهُ
في نَخلَـةٍ تُزهـى بِـهِ وَتُـزانُ
وَالدَوحَتـانِ وَ قَـد دَعَـوتَ فَأَقبَـلا
حَتّـى تَلاقَـت مِنهُـما الأَغصـانُ
وَشَـكا إِلَيـكَ الجَيـشُ مِـن ظَمَـإٍ بِـهِ
فَتَفَجَّـرَت بِالمـاءِ مِنـكَ بَنـانُ
وَالبَدرُ شُـقَّ وَأَشرَقَت شَمسُ الضُحى
بَعـدَ الغُـروبِ وَمـا بِهـا نُقصـانُ(٥٩)

ومِن هذا المنطلق إِذا أَمعنَّا النظر في بعض مفردات هذه القصيدة، نَحوَ: (تُكَلِّمُكَ)، (حَنَّ)، (مُسَـلِّمًا)، (هَـوى إِلَيكَ)، (أَقبَلا)، نَجِدُ هُنا بأَنَّ الشـاعر يعتقد أَنَّ هُنالِك علاقة حُـبّ ومودَّة حميمة فيما بين هذه الكائنات الحيَّـة وحتَّى الجمادات والرسول الأَكرمﷺ، وتعـترف هذه المخلوقات بِنبوَّتِه مِن جانب الله ورسالته السـماويَّة، فَلِـذا نَجِدُها تَنصاعُ لِأَوامِره ولا تخالفهُ قيد أَنمُلِه.

إِنَّ لِلرسول الأَكرمﷺ مواقف عدَّة مع الجمادات والكائنات الحيَّة، فالجذعُ اليابس يَحِنُّ على فراقِه، والحصى يُسـبِّحُ في كفِّه، وَالشجرُ تخط الأرض استجابَةً لِطَلَبِه، والماءُ ينبعُ مِن بين أَصابِعه، ومِن هذا المنطلق أَشارَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا في هذه القصيدة إِلـى الخوارق والمعجـزات التي حَصَلت بَعد بِعثة الرسول الأَكـرمﷺ، وكان لِلرسول الأَعظـمﷺ خُلـق سـامٍ ورفيع في تعامُلِـه مع جميع المخلوقـات والكائنـات الحيَّة، ولم يكتفِ النبيّ الكريمﷺ بِذلك فحسب، فإِنَّهُ أَحسَنَ الخُلُقَ حتَّى مع الجمادات، وَ في هذا المضمار سَنَذكُر بعض الأَحداث التي وقعت لِرسول اللهﷺ مع الجمادات، والحيوانات، والجن، مِنها: «امتثال الأَشـجار لأَوامِره كامتثـال البشر، وانخلاعها مِن أماكنها ومجيئها

إليـه»، فالرسول الأَعظمﷺ إثباتًا لِنُبوَّتِه دَعَا عذق النخلة؛ لِتشـهد لِلأَعرابي أَنَّهُ رسول اللهﷺ، فَجَعَـلَ ينزل العذق مِن النخلة حتَّى سَقِطَ على الأَرض، فجعل يَنقِزُ حتَّى أَتى النبـيﷺ، ثمَّ قال الرسول الأَكرمﷺ لِعذقِ النخلـة: «ارجع» فعاد، فأَسلَمَ الأَعرابيّ، و«حنـين الجذع اليابـس لِلنبيّ الكريمﷺ»، كان المسـجد النبويّ مسـقوفًا على جذوع نخل، فكان الرسول الأَعظمﷺ إذا خطبَ يَقُومُ إِلى جذعٍ منها، فلمَّا دخل الناس فى دين الله أفواجًا ارتأى أَصحاب النبيﷺ أَن يصنعوا له منبرًا خشبيًّا؛ ليبلغ صوته مدىً أَبعَد، لـذا فلـمَّا صُنِعَ له ذلك المنبر، تـرك رسول اللهﷺ ذلك الجذع المسـكين الذى كان يرقى عليـه، فَبَعـد مُرور مدَّة مِن الزمن سُمِعَ لذلك الجذع صوت كصوت العشـار، أَي الناقة الحامل، وَهو يئنُ وَيبكي أَمام جماعة غفيرة مِنَ الصحب الكرام؛ لفراقِ النبيّ الكريمﷺ عَنـهُ، حتى جاءَهُ الرسول الأَكـرمﷺ وَوَضَعَ يَدهُ الشريفة عليه، وَتكلم معهُ، فَسَـكتَ الجِذعُ اليابس، و«الماءُ ينبعُ مِن بين أَصابِعه فشربَ وتَوضأَ القومُ مِنهُ»، و«معجزة انشقاق القمر»، و«معجزة ردِّ الشمس للإمام عليّ عليه السلام».

وأَشـارَ الشـاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في البيت الآتي إلى أَنَّ الكائنات الحيَّة والجمادات ليسـت هي فحسـب مَن تنصاعُ لأَوامر رسول اللهﷺ، بل إنَّ الجن أيضًا تعتقد بنبوَّته، ويكون زمام أُمورها بيده.

عَـلَـيـكَ سَـلامُ اللهَ يـا مَـن تَـعَـبَّـدَت ... لَـهُ الجِـنُّ وَانـقـادَت إِلَيهِ أُمـورُهـا[٦٠]

وقال الشاعر أَيضًا في هذا الحقل:

لـو خـالَـفَـتـكَ كُـمـاةُ الجِـنِ عاصيةً ... أَركَبتَهُم طَبَقًا في الأَرضِ عن طَبَقِ[٦١]

٢-٧. في الحديث عَن مَولِد الرسول الأَكرمﷺ

ومِمَّـا يجدرُ ذكـرُهُ هنا أَنَّ عـددًا مِن المعجـزات حَصَلـت تزامُنًا مع مولـد الرسول

الأَكرمﷺ، وتُعـدُّ هذه المعجزات مِن إِحدى علائم ظهوره الشريف، وأَنَّ الله تعالى قد أَجرى على يديه عددًا من المعجزات إثباتًا لِنبوَّته، وقد أَشـارَ صفيِّ الدين الحِلِّيّ إِلى هذه المعجـزات كُلًّا على حِدَة، والتي حصلت مُنذُ طفولة النبيّ الكريمﷺ حتَّى قُبيل بعثَتِه، أَي في عنفوان شـبابه. وكان لِرسول اللهﷺ أَيضًا كثيرٌ مِـن المعجزات بعد بِعثَتِه ونبوَّتِه ومِن أَهمِّها وأَعظمها هو نزول القرآن الكريم، وغيرها مِن المعجزات، كتعامل الحيوانات المفترسة بلطف وحنان مع النبيﷺ وتحدُّثها معه، والتي سنُشـير إِليها لاحقًا. فالشاعر صفـيِّ الدين الحِلِّيّ في مَدحِه وثنائـه على الرسول الأَكرمﷺ لم يكتـفِ بوصفِ فضائله وشيمِه الجميلة فحسب، لذا فإِنَّهُ ذَكَرَ في قصائده بعض ما ذكرهُ رواة التاريخ حول مولدِهِ الشريـف، وهذا إِن دَلَّ علـى شيء فإِنَّهُ يَدِلُّ على اطِّلاعه تاريخيًّـا على ما كُتب في مولد الرسـول الأَعظمﷺ وما نتـج عنها من قضايا وإِرهاصـات، والأَحداث التي تزامنت مع مولده الشريف، مِنها: «إِخماد نار فارس التي كان يعبدها المجوس ولم تخمد قبل ذلك بأَلـفِ عامٍ»، «وَارتجاس إِيوان كسرى وتَسـاقُط أَربع عشرة شرفةً مِنهُ»، «وَغارَت بُحَيرةُ ساوة فأَفزَعَ ذلك كسرى فَلَبِسَ تاجهُ وقعد على سريره وجمع وزراءه ومرازبته وأَخبرهم برؤياه»، وهُنالك معجزات ذكرها الشاعر، والتي حدَثَت عند طفولة النبيّ الكريمﷺ حتى قُبيـل بعثَتِه، مِنها: «وُضِعَ النبي الكريمﷺ عند الولادة وهو في حالة السـجود»، «ولادة الرسول الأَعظمﷺ وهو مَختون مِن جانب الله»، «تظليل الغمام لِرسول اللهﷺ في سَفَرِهِ إِلى الشام مع عمه أَبي طالبعليه السلام»، «انحناء الجدار لِلرسول الأَكرمﷺ في أَثناء مروره بِدَير أَحد الراهبين المسيحيِّين».

خَمِـدَت لِفَضلِ وِلادِكَ النيرانُ ... وَانشَقَّ مِن فَرَحٍ بِكَ الإيوانُ

وَتَزَلزَلَ النَّادي وَ أَوجَسَ خيفَةً ... مِن هَولِ رُؤياهُ أَنوشِروانُ

فَوُضِعتَ لله المهَيمِنِ ساجِدًا ... وَاستَبشَرَت بِظُهورِكَ الأَكوانُ

مُتَكَمِّلًا لَم تَنقَطِع لَكَ سُرَّةٌ ... شَرَفًا وَلَم يُطلَق عَلَيكَ خِتانُ

وَحُبِيتَ في خَمسٍ بِظِلِّ غَمامَةٍ لَكَ في الهَواجِرِ جِرمُها صيوانُ
وَمَرَرتَ في سَبعٍ بِدَيرٍ فَانحَنى مِنهُ الجِدارُ وَ أَسلَمَ المِطرانُ
وَكَذاكَ في خَمسٍ وَعِشرينَ اِنثَنى نَسطورُ مِنكَ وَ قَلبُهُ مَلآنُ
حَتّى كَمَلتَ الأَربَعينَ وَأَشرَقَت شَمسُ النُبوَّةِ وَاِنجَلى التَبيانُ[٦٢]

وقال مرَّةً أُخرى في هذا السياق:

وَمَن أُخمِدَت مَع وَضعِهِ نارُ فارِسٍ وَزُلزِلَ مِنها عَرشُها وَسَريرُها[٦٣]

٢-٨. في الحديث عن عطاء أَهل البيت عليهم السلام الزاخر وجودهم

إنَّ السخاء والكرم مِن الأَخلاق الكريمة والفضائل والشيم المحمودة عِندَ البشريَّة بشكلٍ عام، والعرب بِشكلٍ خاص على مرِّ العصور. وقد شَدَّدَ الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم على هذا الأَمر قائلًا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٦٤]. ومِن هذا المنطق اهتمَّ الشعراءُ قبل مجيء الإسلام إلى الآن بِمدحِ هذه الشيمة الطيِّبة؛ لما فيها مِن علوِّ الهمم والإيثار. ولقد كان الكرم والجود وسخاء النفس مِن أبرز صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوال حياته المباركة، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يحثُّ الناس على هذه القيم النبيلة، منها النفقة والعطاء؛ وذلك لما فيها مِن خيرٍ لهم. رَسَمَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ لنا صورة شامخة في البذل والكرم مادحًا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قائلًا بأنَّ النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لا يبخل على أحدٍ في عطائه، وأنَّ الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان المثل الأَعلى في الكرم والجود، مشيرًا إلى أَنَّ لِسخاءِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مكانة سامية عند الناس، وأَنَّ رحمته وسعت كُلّ البشرية، فالبحر الذي هو رمز لِلعطاء والبذل لا يستطيع حتَّى أَن يكون قطرة أَمام بحر جود النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الَّذي هو زاخر بالعطاء.

الرسول الأَكرمﷺ طوال حياته الشريفة اهتمَّ بِبذلِ المال وإنفاقه في سبيل الله تعالى وسعى جاهدًا لمساعدةِ الفقراء والمساكين والمعوزين، فَالعناية بالمعوزين والمحرومين كانت في مقدِّمة قضاياه على جدول أَعماله اليوميَّة؛ وذلك لِأَنَّ مُساعدة المعوزين لا يمكن حصرها في أَيَّام محدودة، وهذا خِلاف ما يعتقدهُ بعض المسلمين، فإِنَّهُم يتضامنون مع المحرومين في شهر رمضان المبارك فَحَسب، ومِن هذا المنطلق فإِنَّ النبي الكريمﷺ لم يطرق أَحدٌ بابَه قط إِلَّا وأَعانَهُ بما يستطيع عليه، وعلاوةً على ذلك كان رسول اللهﷺ يسعى دائمًا إِلي إِطلاع الحُكام والأُمراء في البلدان الإِسلامية علي مَشاكل هؤلاء الفقراء والمحرومين لِيتسنَّى لهم مُساعدة المعوزين والمحرومين، فَقالَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا الحقل مُنشدًا:

كَأَنَّما قَلبُ مَعنٍ مِلءُ فيهِ فَلَم يَقُل لِسائِله يَومًا سِوى نَعَم[٦٥]

وكان رسول اللهﷺ يساعد الفقراء والمساكين والمعوزين وهو مبتسم مبتهج بشوش وراضٍ مِن أَعماق قلبه، فإِنَّهُ طوال حياته الشريفة كان رمزًا لِلشخص صَاحب الأَخلاقِ الحسنة والنَفس الطيِّبة، فَالرسول الأَعظمﷺ ومِن خلال كلامه الطيِّب وأَخلاقه العالية تمكَّنَ مِن اكتساب قلوب الناس وإمساك أَزمَّة قلوبهم كما يمسك صاحب السفينة سُكَّانها، ومِن هذا المنطلق أَكَّدَ اللهُ الحكيم في محكم كتابه الكريم هذا الموضوع المهمّ قائلًا: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٦٦]، فَقالَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ مُنشدًا:

سَهلُ الخَلائِقِ سَمحُ الكَفِّ باسِطُها مُنَزَّهٌ لَفظُهُ عَن لا وَلَن وَلَمِ
أَغَرُّ لا يَمنَعُ الراجينَ ما سَأَلوا وَيَمنَعُ الجارَ مِن ضَيمٍ وَمِن حَرَمِ[٦٧]

كان الرسول الأَعظمﷺ ينفقُ ما يملكه مِن غالٍ ونفيس في سبيل الله، فإِنَّهُ لم يتبع ما أَنفقهُ من الخيرات والصدقات مَنًّا على مَن أَعطاه، فلا يمنُّ به على أَحد، بِحيث لا يمنَّ

بـه لا بِقولٍ ولا فعل. لذا نحن أَيضًا علينـا أنْ نَنتَهِج منهَجَ رسول الله ﷺ، وأَن لا نُبطِل أُجـورَ صدَقاتنـا بِالمنِّ والأَذى، وهـذا ما أَكَّدَهُ الله الحكيم في محكم كتابـه الكريم إِذ قال: ﴿يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْـمَـنِّ وَ الْأَذى﴾(٦٨). ولقد نَهَى اللهُ عِبادَهُ في هذه الآية عن إِبطال صدقاتهم وإِفسـادها بِالمنِّ والأَذى، فَقال الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا الصَدَد:

لا يَهــدِمُ المـنُّ مِـنـهُ عُـمـرَ مَـكـرُمَـةٍ وَلا يَـسـوءُ أَذاهُ نَـفـسَ مُـؤتِـمِ(٦٩)

وقال الشاعر أَيضًا في هذا الحقل مُنشدًا:

بَـعَـثـتُ الأَمـانـي عـاطِـلاتٍ لِتَبتَغي نَـداكَ فَـجـاءَت حـالِـياتٍ نُحورُها
وَأَرسَــلــتُ آمــالًا خِـمـاصًـا بُـطـونُـها إِلَيكَ فَعادَت مُثقَلاتٍ ظُهورُها(٧٠)

وكذلك أَشارَ صفيِّ الدين الحِلِّيّ إِلى جود النبيِّ الكريم ﷺ وعطائه الزاخر، قائلًا:

فَـجـودُ كَـفَّـيـهِ لَم تُـقـلِـع سَـحـائِـبُـهُ عَنِ العِبادِ وَجودُ السُحبِ لَم يُقِمِ(٧١)

فجودُ النبيِّ ﷺ تَنعُم به جميع الكائنات الحيَّة؛ لأَنَّ رسول الله ﷺ جاءَ رحمةً لِلعالم البشريَّة جمعاء:

عَمَّت أَياديكَ كُلَّ الكائناتِ، وَقَد خُصَّ الأَنامُ بجُودٍ منكَ مُندَفِقِ(٧٢)

وَصَفَ الشـاعر فضائـل أَهل البيت عليهم السلام وشـيمهم الجميلة، قائـلًا: إِنَّهُم أَفضَلُ الناسِ بَذلًا وكرَمًا وعطاءً وسخاءً لِلمعوزين والمساكين:

إِذا جـولِـسَـت لِـلـبَـذلِ ذُلَّ نِظارُها وَإِن سوجِلَت في الفَضلِ عَزَّ نَظيرُها(٧٣)

وهــو يَصِفُ طهارة أَهل بيــت النبوة عليهم السلام مِن كُلِّ رِجسٍ ودَنَـسٍ، وأَنَّ لهم مكانة عظيمـة وسامية عِنـد الله، وبِأَنَّهم منقطعـو النظير في إِنفاقهم المالَ ومسـاعدتهم الفقراءِ والمعوزين:

بـيـضُ المـفـارِقِ لا عـابٌ يُـدَنِّـسُـهُـم شُمُّ الأَنـوفِ طَـولُ الباعِ وَالأُمَـمِ(٧٤)

٢-٩. في الحديث عن التوسُّل بِالأَئمة الأَطهار عليهم السلام وطلب الشفاعة مِنهُم

اهتم الشعراءُ في العصر المملوكيّ اهتمامًا ملحوظًا بهذه الخصلة البارزة التي شَرَّفَ الله تعالى بِها الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وفي هذا السياق يرى الدكتور محمود سالم محمَّد أَنَّهُ إِلى جانب الحِكَم والمواعظ والتذكير بالموت وطلب التوبة، افتتح شعراء المديح النبويّ بعض المدائح النبويَّة بِالدعاء إِلى الله تعالى، وطلب مغفرته، وكشف الكرب والغمِّ، والتشفُّع بِرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تمهيدًا لِمدحِه(٧٥).

وممَّا يسترعي الانتباه في هذه الأَبيات أَنَّ صفيِّ الدين الحِلِّيّ بِقَلبِه المملوء بِالإِيمانِ العميق بِالله وبِرسولِه واليوم الآخر، نجدهُ في سياق امتداحه لِلنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يرجو شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بِلهفة عالية وحرارة شديدة؛ وذلك لأَنَّهُ يشعر بأَهميَّة الشفاعة وحاجته الماسَّة إِليها حتَّى يخَفِّف عَن ظهره أَعباء الذنوب والخطايا التى تُثقل كاهله، ويجد وسيلة لِلتخلُّص مِنها لكي يقف أَمام ربِّه في يوم الدين وهو مطمئنٌّ إِلى عظيم عفوه وغفرانه له. لذا أَشارَ الشاعرُ إِلى هذه الفضيلة والمكرمة التي تستحقُّ الثناء في أَثناء مدحه لِلنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصورة جليَّة، لذا يَعتَرِفُ لنا الشاعر في هذه القصائد بِذُنُوبِه التي اقترفها طوال حياته، مشيرًا إِلى أَنَّ حُبَّهُ لِلرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو السبيل الوحيد للخلاصِ مِن الوقوع في قعرِ جهنم، فَمِن قراءَتِنا لهذه الأَوصاف المذكورة في الأَبيات يَتَّضِحُ لنا أَنَّ الشاعر يعتقدُ بأَنَّ هذه الآية القرآنية التي قال فيها الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٧٦)، تنطبق بصورة كاملة على شخصيَّة الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم الكريمة، فأَنشدَ الشاعرُ في هذا الحقل قائلًا:

«لَهُ السَلامُ مِنَ اللهَ السَلام وَفي دارِ السَلام تَراهُ شافِعَ الأُمَمِ
يولي الموالينَ مِن جَدوى شَفاعَتِهِ مُلكًا كَبيرًا عَدا ما في نُفوسِهِمِ»(٧٧)

****

«يا خاتَمَ الرُسلِ الكِرامِ وَفاتِحَ الـ ـنِعمِ الجسامِ وَمَن لَهُ الإِحسانُ
أَشكو إِلَيكَ ذُنوبَ نَفسٍ هَفوُها طَبعٌ عَليهِ رُكِّبَ الإِنسانُ
فَاِشفَع لِعَبدٍ شَأنَهُ عِصيانُهُ إِنَّ العَبيدَ يَشينُها العِصيانُ
فَلَكَ الشَفاعَةُ في مُحِبّيكُم إِذا نُصِبَ الصِراطُ وَعُلِّقَ الميزانُ»(٧٨)

****

«عَلَيكَ سَلامُ اللهِ يا خَيرَ شافِعٍ إِذا النارُ ضَمَّ الكافِرينَ حَصيرُها
إِلَيكَ رَسولَ اللهِ أَشكو جَرائِما يُوازي الجِبالَ الراسِياتِ صَغيرُها
كَبائِرُ لَو تُبلى الجِبالُ بِحَملِها لِدُكَّت وَنادى بِالثُبورِ ثَبيرُها
وَغالِبُ ظَنّي بَل يَقينِيَ أَنَّها سُتُمحى وَإِن جَلَّت وَأَنتَ سَفيرُها»(٧٩)

كان الأَنبياءُ على علمٍ بمكانة رسول اللهﷺ السامية والمرموقة عند الله تعالى؛ وذلك لأَنَّ النبي الكريمﷺ هو أَقربُ الأَنبياءِ إِلى الله، لذا فإِنَّهم كانوا يلهجون باسمه المبارك عند نزول الشدائد بهم، ويجعلونه وسيلةً لِلخلاص مِن هذه المحن والابتلاءَات، وأَن يطلبوا القربة إِلى الله تعالى وذلك بالعمل بما يرضيه. وهذا ما أَكَّدَهُ الله الحكيم في محكم كتابه الكريم إِذ قال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسيلَةَ﴾(٨٠)، وأَشارَ صفيُّ الدين الحِلِّيّ إِلى هذا الجانب المهمّ في قصيدته قائلًا:

وَبِكَ اِستَغاثَ الأَنبِياءُ جَميعُهُم عِندَ الشَدائِدِ رَبَّهُم لِيُعانوا
وَبِكَ اِستَغاثَ اللهَ آدَمُ عِندَما نُسِبَ الخِلافُ إِلَيهِ وَ العِصيانُ
وَبِكَ اِلتَجا نوحٌ وَقَد ماجَت بِهِ دُسُرُ السَفينَةِ إِذ طَغى الطوفانُ
وَبِكَ اِغتَدى أَيُّوبُ يَسأَلُ رَبَّهُ كَشفَ البَلاءِ فَزالَتِ الأَحزانُ
وَبِكَ الخَليلُ دَعا الإِلَهَ فَلَم يَخَفْ نَمرودَ إِذ شُبَّت لَهُ النيرانُ
وَبِكَ اِغتَدى في السِجنِ يوسُفُ سائِلا رَبَّ العِبادِ وَقَلبُهُ حَيرانُ

وَبِـكَ الكَليمُ غَـداةَ خـاطَـبَ رَبَّـهُ سَـأَلَ الـقَـبـولَ فَـعَـمَّـهُ الإِحـسـانُ
وَبِـكَ المسـيـحُ دَعـا فَـأَحـيـا رَبُّـهُ مَيتًا وَقَـد بَـلِـيَـت بِـهِ الأَكـفـانُ[٨١]

وأَنشَدَ صفيِّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا في هذا الحقل:

بِـهِ اِسـتَـغـاثَ خَليلُ اللهَ حـينَ دَعـا رَبَّ الـعِـبـادِ فَـنـالَ الـبَـردَ في الـضَـرَمِ
كَـذاكَ يـونُـسُ نـاجـى رَبَّـهُ فَنَجا مِن بَطنِ نـونٍ لَـهُ في اليَمِّ مُلتَقِمِ[٨٢]

فالنبيُّ الكريمﷺ هو الملاذ الآمِن والملجأ المطمئن لكلِّ الناس والأَقوام، لذا يؤكِّد صفيِّ الدين الحِلِّيّ هُنا بأَنَّ شـفاعة رسول اللهﷺ هي السـبيل الوحيد لخلاص البشريَّة جمعاء من المحن والابتلاءَات.

لـو أَن تُـبّـعَ في مَحَـلِ الـبـلادِ دعـا لله باسمِكَ واستَسقي الحَيا لِسُقي[٨٣]

وأَشارَ الشاعر مرةً أُخرى إِلى هذا الأَمر المصيريّ قائلًا:

عَـلَـيـكَ سَـلامُ الله يـا خَـيـرَ شـافِـعٍ إِذا النارُ ضَمَّ الكافِرينَ حَصيرُها[٨٤]

وَمِـن هذا المنطلق يعتقدُ صفيِّ الدين الحِلِّيّ بأَنَّهُ مِن الموالين وأَشـدِّ المحبِّين لِرسول اللهﷺ، وعن هذا الطريق يتسـنَّى لهُ الأَمر بِأَن يحظى بشـفاعة النبيّ الكريمﷺ في يَوْم لَا يَنْفَعُ مَال وَلَا بَنُون، ويحصل هذا الأَمر حتمًا إِذا حظي المؤمِن بِتيسير الله تعالى لَهُ سُبُل الطاعة، وتجنيبِهِ سُبُل المعصية:

لَـهُ الـسَـلامُ مِـنَ الله الـسَـلامِ وَفي دارِ الـسَـلامِ تَـراهُ شـافِـعَ الأُمَـمِ
عَـزيـزُ جـارٍ لَـوِ الـلَـيـلُ اِسـتَـجـارَ بِـهِ مِنَ الصَباحِ لَعاشَ الناسُ في الظُلَمِ
يـولي المـوالـينَ مِـن جَـدوى شَفاعَتِهِ مُلكًا كَبيرًا عَـدا ما في نُفوسِهِم[٨٥]

وَمِمَّا يسترعي الانتباه أَنَّ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا يَعترفُ بِذنوبِه التي اقترفَها طوالَ حياتِه، طالبًا الشفاعة مِن رسول اللهﷺ، قائلًا:

فَلِابنِ زُهَيرٍ قَد أَجَزتَ بِبُردَةٍ عَلَيكَ فَأَثرى مِن ذَويهِ فَقيرُها
أَجِرني أَجِزني وَاجزِني أَجرَ مِدحَتي بِبَردٍ إِذا ما النارُ شَبَّ سَعيرُها(٨٦)

فالثابت أنَّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هُم أقرب الناسِ إلى الله تعالى وأحبَّهُم له، لذا فإنَّ لهم مكانة سامية ومرقومة عند الله تفوق سائر الخَلق، ومِن هذا المنطلق يدعو الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا البيت الناسَ لاتِّباع سيرة أهل بيت النبوَّة عليهم السلام ومسلكهم الذي سلكوه طوال حياتهم المباركة؛ وذلك لما فيه مِن خير وصلاح للأُمَّة الإسلاميَّة في الدنيا والآخرة، يقول الشاعر في هذا السياق مُنشدًا:

تَوالَ عَليًّا وأَبناءَهُ تَفُز في المَعادِ وأَهوالِه(٨٧)

٢-١٠. في الحديث عن حُبِّه آل بيت الرسول عليهم السلام

اهتمَّ الشعراء بِمَدح النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والثناءِ عليه؛ لأنَّهُم وجدوا في حُبِّهِم ومودَّتِهِم لَهُ، سكينة نفوسهم وطمأنينة قلوبهم، فأثارت هذه الدعوة الربَّانيَّة مشاعر الشعراء وأحاسيسهم، ففاضت على ألسِنتهِم قَصائد تفوحُ مِنها شَذا مدحِ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، يُعبِّر الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ في قصائد عدَّ له عن مدى حُبِّهِ ومودَّتِهِ لِلأئمَّةِ الأطهار عليهم السلام، مشيرًا إلى أنَّ حُبَّهم يَضمنُ لنا السعادة الدنيويَّة والأُخرويَّة، ومِن هذا المنطلق، فالشخص الذي يحمِل في قلبه نوعًا مِن أمراض القلوب كالحقد والكراهية تجاه أهل بيت النبوة عليهم السلام، فإنَّهُ لا يَجِد في يوم الدين أمامَهُ سوى الخسارة المؤلمة والخيبة الكبرى، وقال الله تعالى في حَثِّ البشريَّة جمعاء لِلاهتمام بهذا الجانب الديني: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(٨٨). وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحقل: (أَدِّبُوا أولادَكم على ثلاثِ خِصَالٍ: حُبَّ نبيِّكم، وحُبَّ أهلِ بيتِه، وقراءةَ القرآنِ). وقالَ أيضًا: (أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَ أَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ وَ أَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي)(٨٩). وَممَّا لا شكّ فيه أنَّ حُبَّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هو مِن أهم المرتكزات الدينيَّة

عند كُلِّ مسلمٍ ومُسلمة، ولذا أَكَّدَ الله تعالى حُبَّ الرسول الأكرمﷺ مرارًا وتكرارًا في محكم كتابه الكريم، وذلك لما لَهُ مِن أَثرٍ كبيرٍ في حياة المسلمين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٩٠).

يَصِفُ لنا صفيِّ الدين الحِلِّيّ مودَّتِهِ لآل البيتعليهم السلام، مشيرًا إلى أَنَّ هذا الحُبّ والولاء لهم يؤَدِّي إلى فلاحه وسعادته الأُخرويَّة، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُون، فَلا يَقي المرءُ مِن عذاب الله ولو افتدى بِملءِ الأَرض ومَن عليها ذهبًا وبشرًا:

يا عِترَةَ المختارِ يا مَن بِهِم ... يفوزُ عَبدٌ يتَوَلَّاهُمُ
أُعرَفُ في الحَشرِ بِحُبّي لَكُم ... إذ يعرَفُ الناسُ بسيماهُمُ(٩١)

وقال الشاعر أَيضًا في حُبِّه آل بيت الرسولعليهم السلام والصَّحب الكرام:

وَلائي لآلِ المصطفي عِقدُ مَذهَبي ... وقَلبي مِن حُبِّ الصحابةِ مُفعَمُ(٩٢)

٢-١١. في الحديث عن هداية أَهل البيتعليهم السلام لِلبشريَّة

وممَّا يَجدُر ذِكرُهُ أَنَّ صفيِّ الدين الحِلِّيّ يدعو البشريَّة جمعاء بشكلٍ عام والأُمة الإسلاميِّة بشكلٍ خاص إلى الانصياع لأَمرِ رسول اللهﷺ واتِّباع شريعته المحمديَّة؛لأَنَّها خاتمة الشرائع، كما وَصَفَ الله سبحانه وتعالى هذه القضية المهمَّة في آيات بيِّنات، وحجج نيِّرات، وبراهين ساطعات، ومنها قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٩٣).

ولـمَّا ثبت للناس أَنَّ التمسُّك بالرسالة المحمديَّة هي التي تنقذهم مِن السقوط في قعر جهنَّم، وجدوا وبصورة جليَّة وواضحة كوضوح الشمس بأَنَّ الحلَّ الوحيد لِلوصول

إلى سبل النجاة هو اتِّباع طريق الحقِّ الذي كان ينتهجه ويسلكه رسول الله ﷺ؛ وذلك لأَنَّهُ بُعِثَ نبراسًا للهداية. وَمِن هذا المنطلق يَحُثُّنا الشاعرُ في هذه القصيدة لِلاقتداء بِهَدي الرسول الأَكرم ﷺ وسيرته النبويَّة التي هي كالسراج المنير تُضيءُ لنا الطريق الصحيح في الحياة، وأنَّها السبيل الوحيد لِوصول الشعوب كافَّة إلى ذروة درجة الكمال المنشود، والسعادة الدُنيويَّة والأُخرويَّة التي تترتَّب على ذلك، فإنَّ الشخص الذي يسلك مسلك الرسول الأَعظم ﷺ سوف يحظى بِحُبِّهِ الذي يساعد الشخص مِن العتق مِن نار جهنَّم؛ وذلك بسبب ما اقترفَهُ في حياته مِن آثام وذنوب شِداد، فأَنشَدَ صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذا قائلًا:

«وَ بِكَ اِستَبانَ الحَقُّ بَعدَ خَفائِهِ حَتّى أَطاعَكَ إِنسُها وَالجانُ»(٩٤)

****

«محمَّدُ المصطفى الهادي الذي اعتصَمَت بِهِ الوَرَى، فهداهم أَوضَحَ الطُرُقِ»(٩٥)

****

«بِكُم يهتدي، يا نبيّ الهدى وليٌّ إِلى حُبِّكُم ينتَسِب
بِهِ يكسِبُ الأَجرَ في بَعثِهِ ويخلُصُ مِن هولِ ما يكتَسِب»(٩٦)

كما أَسلفنا وَصَفَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ الرسولَ الأعظم ﷺ على أَنَّهُ بُعِثَ نبراسًا لِهداية البشريَّة جمعاء، وَمِن ثَمَ يَأتي هُنا ليَصِف أَهل بيته الأَطهار النجباء عليهم السلام على أَنَّهُم أَيضًا جاؤوا ليرشدونا إلى طريق الهداية والسعادة والعبوديَّة المخلصة، فلقد مَنَّ الله تعالى علينا بنعمتيِّ الرسالة والإمامة، وهاتان النعمتان شكَّلتا الأَرضيَّة لِهداية البشريَّة وخلاصِهِم مِن الوقوع فى الدرك الأَسفل مِن النار، فأَنشَدَ الشاعرُ في هذا السياق قائلًا:

صَلَّى عليكَ إِلهُ العَرشِ ما طلَعَت شمسُ النهارِ ولاحت أَنجُمُ الغَسَقِ

وآلِـكَ الـغُـرَرِ الـلاتي بها عُـرِفَـت سبُلُ الرَّشادِ فكانت مُهتَدي الغَرَقِ[٩٧]

وقال الشاعر أيضًا في هذا المضمار:

هُمُ النُجومُ بِهِم يهدى الأَنـامُ وَيَنجا بُ الظَلامُ وَ يَهمي صَيِّبُ الدِيَمِ[٩٨]

وممَّـا يجدر ذكـرهُ هُنـا أنَّ صفيِّ الدين الحِـلِّيّ يَصِفُ أَهـل بيت النبـوَّة عليهم السلام بأنَّهُم سُبُـل الهُدى والرشـاد، وَمِن ثَمَ يـأتي ببرهانٍ نَيِّرٍ دليـلًا على صحَّة كلامـه، فيقول بأنَّ هذا الـصراط الحقّ الذي ينهَجـهُ الأَئمَّة الأَطهار عليهم السلام طوال حياتهـم المباركة الشريفة يتمخَّـض عنه هذه الهداية الإلهيَّة وشـفاعتهم لنـا الذي يؤدي إِلـى سعادتِنا الأُخرويَّة، وَمِن هذا المنطلق أَشـارَ الشـاعر إلى هذه الآية القرآنيَّة التي قال فيها الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ﴾[٩٩]. ويجب أَن لا ننسـى الإشارة إلى أَنَّ كثيرًا مِن المفسِّرين وكبار العلـماء يعتقـدون بأَنَّ الذين يأَتـون الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ في يوم الدين هُم شـيعة الإِمام أَميرِ المؤمنين عليه السلام.

قـد فُـزتُ كُـلَّ الـفَـوزِ إذ لم يـزَل صِراطُ دِيـنـي بِـكُـمُ مُـستَقيم

فَـمَـن أَتَـــى اللهَ بِـعِـرفـانِـكُـم فـقد أَتـى اللهَ بِـقَـلـبٍ سَـلـيـم[١٠٠]

وأَنشد الشاعرُ مرةً أُخرى في هذا السياق قائلًا:

وَعَـلى صِراطِ الحَـقِّ آلُـكَ كُلَّما هَبَّ النَسيمُ وَمالَتِ الأَغـصانُ[١٠١]

٢-١٢. في الحديث عن بَشَائِر ظهور النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم

هُنا قد تتبادر إلى أذهاننا وإِلى أَذهانِ المحلِّلين مجموعة مِن الأَسئلة، ومِن أَهَمِّ هذه الأَسئلة هو: هل يا تُرى جاءَ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بِرسالتِه السـماويَّة بغتةً، وقال أَنا نبيٌّ مِن أَنبيـاءِ الله وخاتمهـم وصفيّهم، وديني هـو أَفضل الأَديان وعليكـم أَن تدخلوا في ديني وتتبعوني؟ فأَشـار صفيِّ الدين الحِلِّيّ إلى هـذا الموضوع المهمّ قائلًا بأَنَّ حقيقة الأَمر هي

ليســت كذلك؛ لأَنَّ عددًا مِن الأَنبياء والرُّسُـل الذين جاءُوا قبل رسول الله ﷺ تحدَّثوا حول ظهوره المبارك، فَقالَ الشاعر صفيِّ الدين الحِلّيّ مُنشدًا:

وَعَـلَـيـكَ إِرمِـيـا وَ شَعـيـا أَثـنَـيـا وَهُـمـا وَحِـزقـيـلٌ لِـفَـضـلِـكَ دانـوا

بِفَضائِلٍ شَهِدَت بِهِنَّ السُحبُ وَالـ ـتَـوراةُ وَ الإِنجيلُ وَ الـفُـرقـانُ(١٠٢)

وممَّـا يسـترعي الانتباه أَنَّ عـددًا مِن الكتب السـماويَّة تحدَّثت عـن ظهور الرسول الأَكرم ﷺ، وأَشار الشاعر صفيِّ الدين الحِلّيّ إِلى هذا الحدث العظيم قائلًا:

وَجـاءَ في مُحكَمِ الـتّـوراةِ ذكـرُك والـ إِنجيلِ والصُّحُفِ الأُولى على نَسَقِ(١٠٣)

وقال أَيضًا في هذا السياق:

وَمَـن نَطَقَت تَـوراةُ موسى بِفَضلِهِ وَجـاءَ بِـهِ إِنـجيلُـها وَ زَبـورُهـا

وَمَـن بَشَّـرَ اللهُ الأَنـامَ بِـأَنَّـهُ مُـبَـشِّـرُهـا عَـن إِذنِـهِ وَنَـذيـرُهـا(١٠٤)

ويجب أَن لا ننسـى بأَنَّ الرُهبان والكُهّان والأَشـخاص الذين كانوا على صلة مع الفقهاء والعلماء وكبار الدين أَيضًا كان لهم هذا الأَمرُ جليًّا وواضحًا كوضوح الشمس، ولذا عندما كان ظهور النبيّ الأَكرم ﷺ يقترب، كانوا يشاهدون بعض علائم الظهور، فأَشـار الشـاعر صفيِّ الدين الحِلّيّ إِلى إِحدى هذه العلائـم التي حصلت في ليلة ولادة رسول الله ﷺ ونَبَّأَ الرُهبانُ والكُهّانُ الناسَ فيها، قائلًا:

فَـتَـأَوَّلَ الـرُؤيـا سَـطيـحُ وَبَـشَّـرَت بِـظُـهـورِكَ الـرُهـبـانُ وَالـكُـهّـانُ(١٠٥)

وممَّـا يجدر ذكرُهُ أَنَّـهُ عندما سافَرَ عبـد المطَّلب والنبيّ الأَكـرم ﷺ إِلى اليمن كان الرسول ﷺ طفلًا صغيرًا، فعندما جاؤوا إِلى السـلطان اِبنُ ذي يَزَنٍ والذي كان يحكُمُ اليمـن في ذلك الوقت وكان حاكمًا زاهدًا، آمَنَ برسـول الله ﷺ سِرًّا عند عبد المطَّلب؛ وذلك لأَنَّهُ شـاهَدَ في ملامحه علائم النبوَّة مُنذُ نعومة أَظافره، فقال الشـاعر صفيِّ الدين

الحِلِّيّ منشدًا في هذا السياق:

وَغَـدا اِبـنُ ذي يَـزَنٍ بِبَعثِكَ مُؤمِنًا ... سِرًّا لِيَشهَدَ جَدَّكَ الـديَّـانُ(١٠٦)

٢-١٣. في الحديث عن نسب أَهل البيت الشريف عليهم السلام

تحَدَّثَ صفيِّ الدين الحِلِّيّ في الكثير مِن قصائده عن نسب الإمام أَمير المؤمنين عليه السلام الشريف، مُبيِّنًا أَنَّ الإمام عليّ عليه السلام هو معيار تقييم الشخص الذي هو كريمُ الأَصلِ عن غيره مِن الأَشخاص؛ وذلك لما لَهُ مِن مكانة عظيمة عند الله تعالى، فقال الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المضمار: (وَلَوْ لا أَنْتَ يا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي). وَمِن هذا المنطلق أَشارَ الشاعر في هذه القصيدة بأَنَّ أَعداء الإِسلام لا يمكنهُم أَن يطيقوا حتَّى سماع اسمِهِ المبارك؛ لأَنَّهُ يُرهِبُهُم، فقال الشاعر في هذا السياق مُنشدًا:

أَمـيرَ المـؤمنينَ أَراكَ إِمَّـا ... ذكرتُكَ عند ذي حسبٍ صَغا لي
وإِن كـرَّرتُ ذكـرَكَ عند نَغلٍ ... تَـكَـدَّرَ سِـترُهُ، وبَـغى قِـتالي
فـصِرتُ إِذا شَكَكتُ بأَصلِ مَرءٍ ... ذكـرتُـكَ بالجميلِ مِنَ المقالِ
فَليسَ يطيقُ سَمعَ ثناكَ إلا ... كـريمُ الأَصلِ محمودُ الخِلالِ
فَهـا أَنـا قد خَبَرتُ بِكَ البَرايا ... فـأَنتَ مَحَكُّ أَولادِ الحَلالِ(١٠٧)

أَشارَ صفيِّ الدين الحِلِّيّ في هذه القصيدة إِلى عظمة مكانة نسب الإِمام الحسين عليه السلام الشريف مخاطبًا الشخص الآخر الذي يَدَّعي أَنَّ لهُ نسبًا يساوى أَو يُماثل نسب الإِمام الحسين عليه السلام:

كيفَ ترجو بأَن تُساوي حُسينًا ... لَستُما في الفَخارِ أَبناءَ جِنسِ
هل تَساوي مَن جَدُّهُ عَبدَ الشَّمـ ... ـسَ ومَن كان جَدُّهُ عَبدَ شَمسِ(١٠٨)

٢-١٤. في الحديث عن عدالة أَهل البيت عليهم السلام

كان الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم يسعى جاهدًا طوال حياته المباركة لِتحقيق العدالة في جميع مجالات الحياة وعلى نطاق واسع، لذا فإِنَّهُ كان يُضَحِّي بالغالي والنفيس لإِجراء هذا القانون الإِلهيّ بين الناس وبِشَكلٍ صحيح، فإِنَّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حتَّى في مواجهته لأَعداء الإِسلام في الحروب لم ينسَ أَن يراعي هذا الجانب، وممَّا يجدرُ ذكرُهُ هو أَنَّ عدالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم تنحصر على المسلمين فحسب، فإِنَّهُ في حياته المباركة بأَكملها كان يعامل جميع البشر، مسلمًا كان أَم غير مسلمٍ، بالعدالة وعلى السويَّة، لذا فإِنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان دقيقًا وحذرًا في إِجراء هذا القانون الإِلهيّ بحيث لا يَظلمُ أَحدًا، وأَشار صفيِّ الدين الحِلِّيّ إِلى هذه القضية المصيريَّة بالنسبة إِلى الأُمة الإِسلاميَّة، قائلًا:

وكذاكَ خَيرُ المرسلينَ مُحَمَّدٌ ... وهوَ الذي في حُكمِهِ لا يظلِمُ
لما أَتوهُ بِعُصبَةٍ سرَقوا لهُ ... إِبلًا مِن الصدقاتِ وهوَ مُصَمِّمُ
لم يعفُ بل قَطَعَ الأَكُفَ وأَرجُلا ... مِن بَعدِ ما سَمَلَ النّواظِرَ مِنهُمُ
و رَماهُم مِن بَعدِ ذاكَ بَحرَّةٍ ... نارُ الهواجِرِ فوقَها تتضرَّمُ
ورَجا أُناسٌ أَن يرِقَّ عليهمُ ... فَأَبَى وقال: كذا يجازي المجرمُ[١٠٩]

وقال الشاعر أَيضًا في هذا الحقل:

يا خاتَمَ الرُسُلِ يا مَن عِلمُهُ عَلَمٌ ... وَالعَدلُ وَالفَضلُ وَالإيفاءُ لِلذِمَمِ[١١٠]

وأَشار صفيِّ الدين الحِلِّيّ إِلى عدالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع الأَعداء قائلًا:

تَلاعَبوا تَحتَ ظِلِّ السُمرِ مِن مَرَحٍ ... كَما تَلاعَبَتِ الأَشبالُ في الأَجَمِ
في ظِلِّ أَبلَجَ مَنصورِ اللِواءِ لَهُ ... عَدلٌ يُؤَلِّفُ بَينَ الذِئبِ وَالغَنَمِ[١١١]

تحـدَّثَ صفيُّ الديـن الحِلِّيّ أَيضًا عن علـم وعدالة أهل بيت النبـوّة عليهم السلام واصفًا إِيَّاهم أَفضل الناسِ عِلمًا وعدالةً على وجه هذه الكرة الأَرضيَّة، ومِن هذا المنطلق فإِنَّهُم مظهر العلم والأَمانة والعدالة والأَخلاق الحسنة على مدى التاريخ:

آلُ الـرَسـولِ مَحَلُّ العِلمِ ما حَكَموا   لله إِلَّا وَكـانـوا سـادَةَ الأُمَـــمِ(١١٢)

٢-١٥. في الحديث عن اطِّلاع أَهل البيت عليهم السلام وإتقانهم في شتَّى العلوم

كان الإِمام أَمير المؤمِنين عليه السلام عالمًا واسع العلم، وينبوعًا تَتَدَفَّقُ منه الحكمة والمعرفة والبصـيرة، ويكفينا دلالةً على سعة علم الإِمام عليّ عليه السلام وعمق فكره أَن نلقي نظرةً على قطـرةٍ من محيـط علمه المترامـي، أَودعها في نهج البلاغـة، فَنهلَ وارتوى منهـا كلُّ عالمٍ وأَديبٍ، ولذا فمِن قراءَتنا لِقصائد صفيِّ الدين الحِلِّيّ تَبَيَّنَ لنا أَنَّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تحَدَّثَ مِرارًا وتِكرارًا في أَحاديثه الشريفة حول معرفة الإِمام أَميرُ المؤمِنين عليه السلام في شـتَّى العلوم ونبوغه فيها، واطِّلاعه على جميع أَصناف فنون الثقافة، إِذ قال الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيه: (أَنَـا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ)(١١٣). يقول صفيُّ الدين الحِلِّيّ أَيضًا في هذا السياق:

مَـديـنَـةُ عِـلـمٍ وَابـــنُ عَـمِّـكَ بـابُهـاَ   فَمِن غَيرِ ذاكَ البابِ لَم يُؤتَ سورُها(١١٤)

وانشد أيضًا:

فَعَلَيكَ مِـن رَبِّ الـسَـلامِ سَـلامُهُ   وَالـفَـضـلُ وَالـبَـرَكـاتُ وَالـرُضـوانُ
وَعلى اِبنُ عَمِّكَ وارِثِ العِلمِ الَّذي   ذَلَّـت لِسَطوَةِ بَأسِهِ الشُجعانُ(١١٥)

هــذه إِضمامة مِن أَهم جوانب المديح الدينيّ في شـعـر صفيِّ الدين الحِلِّيّ، ومِن هذا المنطلق تَحَدَّثَ الشـاعـر في قصائده عَـن مَدى تأَثُّرِه بِحبِّ أَهل بيت النبوّة عليهم السلام مُشـيرًا إِلى جهادهم، وغزواتهم، وفضائلهم، وشـمائلهم المثلى، وسيرتهم الحميدة، ومعجزات

الرسول الأَكرمﷺ، وأَشادَ الشاعر أَيضًا بِمكانتِهِم العظيمة بين الرُّسُل وسائر الخلق، راجيًا شفاعتهم بِالثناءِ عليهم.

٣. النتائج

الخصائص التي اتَّضحت لنا في ضوء دراستنا، هي:

١. كان الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ يمزجُ عواطفه الصادقة التي تتدفَّق ينابيعها مِن داخله بأَلفاظه السهلة البسيطة التي تحمل معاني كبيرة وأَغراضًا سامية، فكان شعرهُ يتميَّز بِالدقَّة في التعبير، وبلاغته، وفصاحة البيان وروعته وقوَّته، وجزالة الأُسلوب ورصانته ونصاعته، وحسن الصياغة والديباجة، والوضوح في الأَلفاظ، والبراعة في التصوير؛ لِيتَّخذ الشعرَ وسيلةً للوصول إلى أَهدافه العالية، أَلا وهي بيان ملامح أَهل البيت عليهم السلام على مَرِّ العصور.

٢. إذا عرضنا مفردات قصيدة الشاعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ على المعجم لا يمكن لنا أن نجد حتَّى ولو خطأً واحدًا، وهذا إذا دلَّ على شيء فإنَّهُ يدلُّ على أَنَّهُ كان شاعرًا مُجيدًا فصيحًا بحيث إنَّه يتعاطى مع الألفاظ ببراعة ممَّا يزيد إعجاب ذوَّاق الشعر العربيّ الفصيح بذلك.

٣. في ضوء قراءتنا لقصائد صفيِّ الدين الحِلِّيّ في أَهل البيت عليهم السلام تبيَّن لنا أَنَّهُ أَحاطَ بِهذا الموضوع مِن جميع جوانبه وزواياه المختلفة، وذلك يدلُّ على اطِّلاعه تاريخيًّا وعلميًّا على ما كُتِبَ في فضائل رسول اللهﷺ وأَهل البيت عليهم السلام، ومناقبهم وشِيمِهم ومكارمهم، وما نتج عنها مِن قضايا.

٤. تأثَّرَ الشـاعر في مدائحه لآل بيت النبوَّة عليهم السلام تأثُّرًا ملحوظًا، فكان أُسلوبه في قصائده النبويَّة أُسلوبًا مألوفًا عند جميع الشعراء في العصر المملوكيّ.

٥. وممَّـا يجـدر ذِكره أنَّ صفيِّ الدين الحِلِّيّ في إنشـاده لِلمدائح الدينيَّـة كان متأثِّرًا بالقرآن الكريم، وقد أجاد في استعماله للمعاني القرآنيَّة في شعره.

هوامش البحث

(١) الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٢) ابـن منظـور، محمَّد ابن مكرم، لسـانُ العرب، الطبعة السـادسة، بيروت، دار صـادر، ٢٠٠٨م، ص٥٨٩.

(٣) ناصيف، إميل، أروعُ ما قيل في المديح، بيروت، دار الجيل، د.ت، ص٩.

(٤) شـبيب، غـازي، فن المديح النبـويّ في العصر المملوكـيّ، أَشرف عليه وراجَعَـهُ: الدكتور ياسين الأيوبيّ، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص٣٣.

(٥) هـو عبـد العزيز بن سَرَايا بن عليّ بن أَبي القاسم بن أَحمد بن نصر بن أَبي العزّ بن سَرَايا بن باقي بن عبد الله بن العُرَيّض الطائيّ السِّنبِسِيّ الحِلِّيّ، شيعيًّا كأَبناء الحلَّة الَّتي مازالت شيعيَّة إِلى يومنا هذا، وَمِن أَشـهر آثاره، ديوانه، والكافية البديعيَّة في المدائح النبويَّة، والعاطل الحاليّ والمرخَّص الغاليّ، وتوفِّي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). الأمينيّ النجفيّ، عبد الحسـين أحمد، الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٩٤م، ج١١، ص٦٢.

(٦) ضيف، شـوقي، تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الإسلاميّ، الطبعة السابعة، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص٢١٥.

(٧) سراج الدين، محمَّد، المديح في الشعر العربيّ، بيروت، دار الراتب الجامعيّة، د.ت، ص١٨.

(٨) سالم محمَّد، محمود، المدائح النبويَّة حتَّى نهاية العصر المملوكيّ، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م، ص٤٨.

(٩) شبيب، المصدر السابق، ص٣٨.

(١٠) باشـا، عمر موسى، تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر المملوكيّ، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٩م، ص٦٥٢.

(١١) ناصيف، المصدر السابق، ص١١.

(١٢) زكـي مبـارك، محمَّـد، المدائح النبويَّـة في الأدب العربيّ، الطبعـة الثانية، دمشـق، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٧م، ص١٨.

(١٣) الحمـيريّ المعافـريّ، عبد الملك بن هشـام بن أَيُّوب، السـيرة النبويَّة، تحقيـق: طه عبد الرؤوف

سعد، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ.ق، ص٣٢٣.

(١٤) ابـن عبـد المطَّلب، أَبي طالب، الديوان، جمعه وشرحه: محمَّـد التونجيّ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٤م، ص٦٧.

(١٥) ابـن ثابت، حسَّـان، الديوان، تحقيق: عبـد الرحمن البرقوقـيّ، راجَعَهُ وفهرَسَـهُ: يوسف محمَّد البقاعيّ، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ٢٠٠٦م، ص٨٧.

(١٦) باشا، المصدر السابق، ص٦٤٢.

(١٧) الحميريّ المعافريّ، المصدر السابق، ص٣٠٠.

(١٨) سالم محمَّد، المصدر السابق، ص١٨.

(١٩) رزق سليـم، محمـود، الأَدب العربيّ وتاريخه؛ في عـصر المماليك والعثمانيِّـين والعصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٥٧م، ص٦٩.

(٢٠) الفاخوريّ، حنَّا، تاريخ الأدب العربيّ، الطبعة الخامسة، طهران، دار نشر طوس، ١٣٨٧هـ.ش، ص٨٦٠.

(٢١) سالم محمَّد، المصدر السابق، ص٢٤.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٧.

(٢٣) البسـتانيّ، محمـود، تاريـخ الأدب العربيّ في ضـوء المنهج الإسلامـيّ، الطبعة الأُولى، مشـهد المقدَّسة، مجمع البحوث الإِسلاميَّة، ١٤١٣هـ.ق، ص٤٤٢.

(٢٤) زغلول سلام، محمَّد، الأَدب في العصر المملوكيّ، مصر، دار المعارف، د.ت، ج١، ص١٠٥.

(٢٥) الإسراء: ١.

(٢٦) الحِلِّيّ، صفيِّ الدين، الديوان، الطبعة الأُولى، بيروت، دار صادر، ١٩٨٣م، ص٨٤.

(٢٧) النجم: ٨-١٠.

(٢٨) آل عمران: ١٥٩.

(٢٩) الأَنبياء: ١٠٧.

(٣٠) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩٣.

(٣١) المصدر نفسه، ص٧٦-٧٧.

(٣٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣٣) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨٤.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٦٩١.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٨١.

(٣٦) القلم: ٤.
(٣٧) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩١.
(٣٨) المصدر نفسه، ص٨٤.
(٣٩) الحجر: ٧٢.
(٤٠) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩١.
(٤١) المصدر نفسه، ص٨١.
(٤٢) المصدر نفسه، ص٨١.
(٤٣) المصدر نفسه، ص٨٨.
(٤٤) المصدر نفسه، ص٨٨.
(٤٥) المائدة: ٥٥.
(٤٦) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٩٠.
(٤٧) المصدر نفسه، ص٧٨.
(٤٨) النمل: ٧٣.
(٤٩) الأَحزاب: ٣٣.
(٥٠) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨٩.
(٥١) المصدر نفسه، ص٦٩٣.
(٥٢) المصدر نفسه، ص٦٩١-٦٩٢.
(٥٣) المصدر نفسه، ص٨٠.
(٥٤) المصدر نفسه، ص٦٩٤.
(٥٥) المصدر نفسه، ص٤٧٨.
(٥٦) بَعير: ما صلح لِلركوب والحَمْل من الجِمال.
(٥٧) حيوان مِن جنس الزَّواحف، جسمه خَشِن غليظ له ذَنَب عريض، يكثر في صحَاري الأقطار العربيَّة.
(٥٨) أَيّ الذئب.
(٥٩) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨١.
(٦٠) المصدر نفسه، ص٧٧.
(٦١) المصدر نفسه، ص٨٥.
(٦٢) المصدر نفسه، ص٧٩-٨٠.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٧٧.
(٦٤) آل عمران: ١٨٠.
(٦٥) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩٣.
(٦٦) آل عمران: ١٥٩.
(٦٧) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩٧.
(٦٨) البقرة: ٢٦٤.
(٦٩) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩٢.
(٧٠) المصدر نفسه، ص٧٨.
(٧١) المصدر نفسه، ص٦٩٣.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٨٤.
(٧٣) المصدر نفسه، ص٧٨.
(٧٤) المصدر نفسه، ص٦٩٩.
(٧٥) سالم محمَّد، المصدر السابق، ص٣٢٩.
(٧٦) البقرة: ٢٥٥.
(٧٧) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٦٩٢.
(٧٨) المصدر نفسه، ص٨٢.
(٧٩) المصدر نفسه، ص٧٧-٧٨.
(٨٠) المائدة: ٣٥.
(٨١) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨١-٨٢.
(٨٢) المصدر نفسه، ص٦٩٩.
(٨٣) المصدر نفسه، ص٨٥.
(٨٤) المصدر نفسه، ص٧٧.
(٨٥) المصدر نفسه، ص٦٩٢.
(٨٦) المصدر نفسه، ص٧٩.
(٨٧) المصدر نفسه، ص٩٠.
(٨٨) الشورى: ٢٣.
(٨٩) الإصفهانيّ، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعة الرابعة، بيروت، دار اكتاب العربيّ، د.ت، ج٣، ص٢١١.

(٩٠) التوبة: ٢٤.
(٩١) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨٧.
(٩٢) المصدر نفسه، ص٩١.
(٩٣) الأحزاب: ٤٠.
(٩٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨٢.
(٩٥) المصدر نفسه، ص٨٤.
(٩٦) المصدر نفسه، ص٨٦.
(٩٧) المصدر نفسه، ص٨٥.
(٩٨) المصدر نفسه، ص٦٩٩.
(٩٩) الشعراء: ٨٩.
(١٠٠) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٨٧.
(١٠١) المصدر نفسه، ص٨٢.
(١٠٢) المصدر نفسه، ص٨٠.
(١٠٣) المصدر نفسه، ص٨٤.
(١٠٤) المصدر نفسه، ص٧٧.
(١٠٥) المصدر نفسه، ص٧٩.
(١٠٦) المصدر نفسه، ص٨٠.
(١٠٧) المصدر نفسه، ص٨٩.
(١٠٨) المصدر نفسه، ص٦٤٣.
(١٠٩) المصدر نفسه، ص٦٨.
(١١٠) المصدر نفسه، ص٧٠١.
(١١١) المصدر نفسه، ص٦٩٧.
(١١٢) المصدر نفسه، ص٦٩٩.
(١١٣) أبو عبد الله، محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، المستدرك على الصحيحين، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للإمام محبِّ الدين الطبريّ، مصر، مكتبة القدسيّ، د.ت، ج٣، ص١٤٢.
(١١٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص٧٧.
(١١٥) المصدر نفسه، ص٨٢.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن ثابت، حسَّـان، الديوان، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقـيّ، راجَعَهُ وفهرَسَهُ: يوسف محمَّد البقاعيّ، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦م.
٣. ابـن عبد المطَّلب، أبي طالب، الديـوان، جمعه وشرحه: محمَّد التونجيّ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٤م.
٤. ابن منظور، محمَّد ابن مكرم، لسانُ العرب، الطبعة السادسة، بيروت. دار صادر، ٢٠٠٨م.
٥. أَبو عبد الله، محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، المستدرك على الصحيحين، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لِلإمام محبِّ الدين الطبريّ، مصر، مكتبة القدسيّ، د.ت، ج٣.
٦. الأصفهانيّ، أَبو نعيـم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الكتاب العربيّ، د.ت، ج٣.
٧. الأمينـيّ النجفـيّ، عبد الحسـين أحمد، الغديـر في الكتـاب والسـنَّة والأدب، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٩٤م، ج١١.
٨. باشا، عمر موسى، تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر المملوكيّ، الطبعة الأُولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٩م.
٩. البسـتانيّ، محمود، تاريـخ الأدب العـربيّ في ضوء المنهـج الإسلاميّ، الطبعة الأُولى، مشـهد المقدَّسة، مجمع البحوث الإسلاميَّة، ١٤١٣هـ.ق.
١٠. الحِلِّيّ، صفي الدين، الديوان، الطبعة الأُولى، بيروت، دار صادر، ١٩٨٣م.
١١. الحمـيريّ المعافريّ، عبد الملك بن هشـام بن أيُّوب، السـيرة النبويَّة، تحقيـق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ.ق.
١٢. رزق سليـم، محمـود، الأدب العربيّ وتاريخه في عـصر المماليك والعثمانيِّـين والعصر الحديث، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٥٧م.
١٣. زغلول سلام، محمَّد، الأَدب في العصر المملوكيّ، مصر، دار المعارف، د.ت، ج١.
١٤. زكـي مبـارك، محمَّد، المدائـح النبويَّة في الأدب العـربيّ، الطبعة الثانية، دمشـق، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٩٧م.

١٥. سالم محمَّد، محمود، المدائح النبويَّة حتَّى نهاية العصر المملوكيّ، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م.
١٦. سراج الدين، محمَّد، المديح في الشعر العربيّ، بيروت، دار الراتب الجامعية، د.ت.
١٧. شبيب، غازي، فن المديح النبويّ في العصر المملوكيّ، أشرف عليه وراجَعَهُ: الدكتور ياسين الأيوبيّ، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
١٨. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الإسلاميّ، الطبعة السابعة، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
١٩. الفاخوريّ، حنَّا، تاريخ الأدب العربيّ، الطبعة الخامسة، طهران، دار نشر طوس، ١٣٨٧هـ.ش.
٢٠. ناصيف، إميل، أروعُ ما قيل في المديح، بيروت، دار الجيل، د.ت.